

المَوْعُودُونَ بِالمَغْفِرَةِ في القرآنِ والسُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ

جمع وترتيب
عماد الدين أبو النجا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر

انطلاقاً من قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ " ^(١) فإنني أشكره سبحانه - ؛ استجابة لأمره إذ قال - تعالى - : (أَنْ اشْكُرْ لِي) (لقمان / ١٤) كما أشكره - سبحانه - أن هدانا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ .

وبعد شكره - سبحانه - فإنني أشكر رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الذي علّمني وعلم الأمة بأسرها فكان المعلم الأول للأمة . كيف لا وقد تولّى ربّه تعليمه ، قال - سبحانه وتعالى - مخاطباً إياه :

(وَعَلَّمَكُمَا مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُونَ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) (النساء / ١١٣) ، فكان - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أعلم العلماء وأحكم الحكماء ، ولما علّمه ربّه أمره بالبلاغ فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (المائدة / ٦٧) ، قال الشيخ السعدي -

يرحمه الله تعالى - عند تفسير هذه الآية : " هذا أمر من الله لرسوله محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأعظم الأوامر وأجلها ، وهو : التبليغ لما أنزل الله إليه ، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من العقائد والأعمال والأقوال ، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية إنما كان بتبليغه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إياه فبلغ أكمل تبليغ ، ودعا وأندر ، وبشر ويسر ، وعلم الجاهل الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين ، وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورساله . فلم يبق خير إلا دلّ أمته عليه ورغبها فيه ، ولا شر إلا ونهى الأمة عنه وحذرهما منه ، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة ، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين ، ومن هنا يجب الإيمان بأن الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بلغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصح للأمة " .

وبعد شكر الله - عزّ وجلّ - وشكر رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فإنني :

أولاً : أشكر علماءنا ومشايخنا الذين لهم الفضل بعد الله في تعليمنا وتأديتنا .

ثانياً : أشكر والداي ففضائلهما عليّ تترا قال - تعالى - : (أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) (لقمان / ١٤) .

ثالثاً : أشكر كل من ضحّى أو تنازل عن حق من حقوقه من أجل إتاحة الوقت لي لإنجاز هذا العمل من زوجة و أولاد ومن لهم حق عليّ .

رابعاً : أشكر إخواني وتلاميذتي وكل من ساهم في خروج هذا العمل من كتابة وطباعة وتنسيق وكذا نصح وتوجيه.

خامساً : القراء وكل من سيقدم لي نقداً بناءً ونصيحة لله أو توجيهاً أو إرشاداً أو تصويب أخطاء أو أيّ شئ من شأنه إخراج هذا العمل في أفضل صورة ليعمّ النفع به كل الناس .

(١) قال عنه الشيخ الألباني : " صحيح " (يُنظر : صحيح الجامع / ٦٥٤١ ح) طبعة المكتب الإسلامي ، (صحيح الرمزي / ١٩٥٥) .

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران / ١٠٢) .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)) (النساء) .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)) (الأحزاب) .

أما بعد

فقد قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر : ٥٣) .

أخي القارئ : المغفرة ، ما المغفرة ؟ وما أدراك ما المغفرة ؟ إنها مطلب عظيم لا أقول فقط للمسلمين ولا أقول لكل إنسان ، بل للإنس و الجن ، فمن يملك الغفران إلا الغفور الرحمن ، وقد كتبت هذه الكلمات ، تبياناً لأسباب المغفرات ، وجاءت هذه الرسالة والتي سميتها :

(الموعودون بالمغفرة في القرآن والسنة المطهرة) سائلاً المولى الغفور الرحيم ، أن يجعل لنا منها النصيب العظيم اللهم آمين .

وقد بدأت بالتمهيد الذي تحدثت فيه وفق المنهج الآتي :

ذكرت الآيات التي فيها وعد من الله لبعض عباده بالمغفرة وذلك تحت عنوان (الموعودون بالمغفرة في القرآن) ثم أتبع ذلك بالأحاديث التي فيها وعد لبعض العباد بالمغفرة وذلك تحت عنوان (الموعودون بالمغفرة في السنة المطهرة) معتمداً في اختياري للأحاديث على الآتي :

أولاً : صحيح البخاري ومسلم ، وقد رمزت للبخاري بـ (خ) ، ولمسلم بـ (م) .

ثانياً : صحيح السنن (أبو داود و النسائي و الترمذي و ابن ماجه) للشيخ الألباني ، وكذا

(صحيح الترغيب والترهيب) و (صحيح الجامع الصغير) و (صحيح الأدب المفرد) و (كتاب الجنائز) .

و كلها للشيخ الألباني - يرحمه الله تعالى - ومعلوم أن التخريج في (صحيح الجامع) بالرموز ؛ فلتراجع هناك و كنت في كل هذا أذكر الحديث ورقمه في صحيح البخاري ومسلم أو رقمه في كتب الشيخ الألباني ثم أتبع ذلك بحكمه عليه ، وهذه الطبعة اقتصرتها فيها على متن الحديث فقط و سيتبعها - إن شاء الله - طبعة أخرى مشروحة . هذا ، ولا أدعي كمال عملي هذا ولا خلوه من الخطأ ، وهذا شأن أي عمل بشري فما من كتاب

أو مؤلف إلا ويبدؤه مؤلفه بالمعذرة إذا وجد خطأ ، إلا كتاب الله الذي بدأه الله - تعالى - بقوله :

(۱) غریب الحدیث (۱/ ۴۹) .

التمهيد

إذا نظرنا إلى واقع الناس فإننا نجد أن البعض ططط أموالاً كثيرة جداً ، ويبذل أياماً وجهداً ، ويترك أهله وأولاده ، وأملاكه وموطنه ، ويذهب لأداء فريضة الحج ، وإذا سألتهم لماذا كل هذا ؟ فيقولون : (ليغفر الله لنا) ، ونجد البعض يخرجون من أموالهم وبلادهم ، ويضحّون بالغالي والرخيص ، وبالنفس والنفيس ، ويذهبوا للجهاد في سبيل الله ، وإذا سألتهم لماذا كل هذا ؟ فيقولون : (ليغفر الله لنا) ، وغيرهم وغيرهم ، الكل يبحث عن المغفرة ، ولعل البعض يفوز بها ، والبعض يحرم منها ، فما المغفرة ؟ وما أسباب المغفرة ؟ وما موانع المغفرة ؟ ومن الموعودون بالمغفرة ؟ ومن المتوعدون بعدم المغفرة ؟

هذا ما أحاول الإجابة عليه في الصفحات القادمة - بمشيئة الله - سائلاً الله التوفيق والسداد ، والعون والإمداد ، ولا حول ولا قوة لي إلا بالله .

— الْمَغْفِرَةُ وَ الْغُفْرَانُ :

صفة فعلية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة ، ومن أسمائه (الغفار) و (الغفور) .

الدليل من الكتاب :

١- قوله تعالى : (وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (البقرة / ٢٨٥) .

٢- و قوله : (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (فاطر / ٢٨) .

٣- و قوله : (أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ) (الزمر / ٥) .

٤- و قوله : (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) (فصلت / ٤٣) .

الدليل من السنة :

١- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ " .

(م / ٣٤٤) .

٢- عن عائشة - رضي الله عنها - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَرَاهِيَةُ لِقَاءِ اللَّهِ فِي كَرَاهِيَةِ لِقَاءِ الْمَوْتِ ،

فَكُلُّنَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، قَالَ : لَا ، إِنَّمَا ذَاكَ عِنْدَ مَوْتِهِ ، إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ ، فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَإِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ " . (صحيح النسائي / ١٨٣٨)

قال ابن قتيبة في (تفسير غريب القرآن) (ص ١٤) :

ومن صفاته (الغفور) ، وهو من قولك : غفرت الشيء : إذا غطيته ؛ كما يقال : كَفَرْتُهُ : إذا غطيته . ويقال : كذا أغفر من كذا ؛ أي : أستر ...) .

وقال الزجاجي في (اشتقاق أسماء الله) (ص ٩٣) :

غفور من أبنية المبالغة ؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ غفور ؛ لأنه يفعل ذلك لعباده مرة بعد مرة إلى ما لا يحصى ، فجاءت هذه الصفة على أبنية المبالغة لذلك ، وهو متعلق بالمفعول ؛ لأنه لا يقع الستر إلا بمستور يُستر ويُغطى ، وليست من أوصاف المبالغة في الذات ، إنما هي من أوصاف المبالغة في الفعل) .

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٥ / ٣٠٠) :

العَفُو الغفور الغفار : الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً ، وبالفقران والصفح عن عباده موصوفاً ، كل أحد مضطر إلى عفوهِ ومغفرتِهِ ، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه .

وقال الشيخ عبد العزيز السلمان في (الكواشف الجلية عن معاني الواسطية) (ص ٢٧٠) :

(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور / ٢٢) ؛ في هذه الآيات إثبات وصف الله بالعفو والمغفرة ...) اهـ .

قال الشيخ محمد المختار الشنقيطي في محاضرة له بعنوان : (سحائب المغفرة) بتصرف يسير واختصار :
أيها الأحبة في الله :

من الذي ييسط يده في الليل ليتوب مساء النهار ، وييسط يده في النهار ليتوب مساء الليل ؟

من الذي ينادي في كل ليلة : هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ؟

من الذي ينادي : يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني لغفرتها لك ولا أبالي ؟

من الذي ينادي : يا عبادي إنكم تخطئون في الليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني اغفر لكم ؟

من الذي ينادي : (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ) .

من الذي يرحم التائبين ويشملهم بعفوهِ ومغفرتِهِ وهو خير الغافرين ؟

من الذي عجت ببابه الأصوات فلهجت بالمعذرة والمسائل والحاجات فكان الله ولم يزل بها رحيمًا ؟

أيها الأحبة في الله :

يغفر الله للعبد ذنوبه ويستر له عيوبه ، يغفر الله وهو خير الغافرين ، ويرحم الله وهو أرحم الراحمين .

يغفر الله للعباد مغفرة لا تدع للعبد ذنباً صغيراً ولا كبيراً إلا محته ، وتلك المغفرة التامة ، مغفرة لما تقدم وما تأخر غفرها الله لنبيه عليه الصلاة والسلام : (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) .

يغفر الله للعبد ذنبه فلا يبقى له خطيئة أبداً .

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُمُرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَاءَ عُثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَلْفِ دِينَارٍ ، حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَنَشَرَهَا فِي حَجْرِهِ . قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُقَلِّبُهَا فِي حَجْرِهِ وَيَقُولُ : " مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ " .

(صحيح الترمذي / ٣٧٠١) وجاء حاطب ابن أبي بلتعة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فوقف على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في قصته المشهورة وكتابه لأهل مكة ، فَقَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبُ عُتُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ . فَقَالَ : " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ " .

يغفر الله للعبد مغفرة تامة كاملة فلا يبقى له ذنباً ولا خطيئة ، وبذلك يمشي على وجه الأرض مبشراً بالجنة .
يغفر الله للعبد ذنوبه فيرحمه إذا رحم خلقه .

مرت بَغِيٍّ من بغايا بني إسرائيل ، كانت على المعاصي والفجور ، فمرت على كلب يلهث الثرى فانكسر قلبها وأرادت أن ترحمه ، فنزلت إلى البئر فملأت خفها ماء وسقت الكلب فشكر الله لها فغفر ذنوبها .
ومر رجل على غصن شوك في طريق المسلمين ، فلما رآه قال : والله لأنحينه عن طريق المسلمين لا يؤذيهم ، فزحزحه عن طريقهم فزحزحه الله عن نار جهنم وغفرت ذنوبه .

الله أكبر إذا غفر الله لعبده ، والله لا يُسأل عن أمره ، ولا يعقّب في حكمه سبحانه وتعالى .

أيها الأحبة في الله ، يقف العبد بين يدي الله ، يقف العبد بين يدي سيده ومولاه ، يناديه رباهُ رباه ، يناديه بعد الذنوب والخطايا ، والعيوب والرزايا .

وقد أقضت مضجعه وآلمته وأكربته فلم يجد ملجأً ومنجى إلا إلى الله ، فيقف بين يدي الله وقد أحزنه ذنوبه وأهمته عيوبه وأسرته خطايا بعد أن ذهب اللذة ، وانقضت الشهوة وأعقبها العذاب والهوان ، وأصابته بلية المعصية : من فقر في يديه ، وسوء في حاله ، ومرض في بدنه ، وأحاط به ضيق المعاصي ، آلمته وأقضت مضجعه ، أقلقته ، عندها نظر يميناً وشمالاً . فإذا بالنفس الأماراة بالسوء قد خذلته ، وإذا بالشيطان المريد قد خذله ، فلم يجد إلا ربه لكي يقف بين يديه معترداً ، ويقف بين يديه نادماً تائباً منكسراً .

فينادي ربه من صميم قلبه وفؤاده ، وهو يعتقد أن لا أرحم من الله بخلقه . ينادي ربه وهو على يقين أن الله أحلم وأرحم ، وأن الله أوفى وأكرم ، وأنه وإن كانت ذنوبه كبيرة فالله أكبر من كل شيء ، وإن كانت عيوبه كثيرة فالله أرحم وهو الغفور الحليم . فوقف بين يدي الله منكسراً ، أسيراً حسيراً كسيراً مؤمناً بربه موقناً برحمته ، فيناديه : يا رب يا رب ، وإذا بالله جل جلاله لا ينظر إلى ما مضى من إساءته ولكن يفرح بإنابته وتوبته ، فتفتح

أبواب السماوات وتصعد الكلمات والدعوات ، فتنتهي إلى ما شاء الله أن تنتهي ، فينادي أرحم الراحمين ، وينادي خير الغافرين : يا ملائكتي علم عبي أن له رب يأخذ بالذنب ويعفو عن الذنوب ، قد غفرت لعبدي . وقد يكون العبد ابن ستين وسبعين فيغفر له في طرفة عين ، فيتولى الشيطان وهو يحث على نفسه التراب ويقول : يا ويلي أغويته من ستين وسبعين وغفر له في طرفة عين . فإذا غفرت الذنوب ، وسُترت العيوب ، وزالت الخطايا ، فرح العبد بتوبة ربه عليه ، ورأى بشائر فضله وإحسانه أمامه وبين يديه ، رأى الكرم والجود ، والحلم والرحمة فازداد فرحاً بالله ، وإنابة إلى الله ، وثقة بالله جل جلاله ، وأصبح لسان حاله يقول : يا رب أسأت في ما مضى فأحسن لي في ما بقي من عمري ، وأحسن لي في ما بقي من أجلي . فتغشته سحائب المغفرات ، وأفاض الله عليه جزيل وجميل الرحمات ، ففتح في وجهه أبواب البر ، فانطلق ذلك العبد الموفق إلى أبواب الخير والطاعات فرحاً بتوبة ربه عليه ، وإنابته وإحسانه إليه ، فإذا أراد الله عز وجل أن يسعده أراه بدل له سيئاته حسنات . الله أكبر ، إذا بدلت الذنوب ، وبدلت الخطايا والعيوب ، بدلت حسنات من أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين وخير الغافرين .

أيها الأحبة في الله :

من الذي بيننا وبين الله ؟ ليس بيننا وبين الله أحد ، ليس بيننا وبين الله ترجمان ولا حجاب ولا جن ولا إنسان ، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار . يناديه العبد بالذنب لا يعلمه إلا هو سبحانه الرب ، فيستره ويرحمه في الدنيا والآخرة .

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ ... " (خ / ٢٤٤١) . ليس بين العبد وبين الله أحد ، لا يستطيع أحد أن يحرملك من رحمة ربك ، ولا يستطيع أحد كائن من كان أن يقفل أبواب فضل الله عليك .

اختار الله منك الندم والشجى والحزن والألم على ما سلف وكان من العصيان لكي يشملك بعفوه .

سحائب مغفرة من أرحم الراحمين ، سحائب مغفرة من خير الغافرين .

ومن لنا غير الله ، ومن لنا غير الذي لا إله سواه ولا رب عداه ، من لنا غيره لو أغلقت أبوابه وحاشاه .

من لنا غيره لو ابتعدنا عنه وهو صاحب الفضل والكرم .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يشملنا بمغفرته ، وأن يعمننا بإحسانه وبره .

من سحائب المغفرة التي تُمطر على العبد فيغفر الله بها ذنوبه ، ويستر بها عيوبه أن يكون العبد كثير الاستغفار ، كثير الإنابة إلى الله الحليم الغفار .

مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ومن كل بلاء عافية .

كثرة الاستغفار باب من أبواب الرحمة .

فاستغفر الله قائمًا وقاعدًا ، استغفر الله ذاهبًا وراجعًا .

إن ذهبت وأنت تطلب رزقك استغفرت الله عند خروجك لأنه ربما حُرِمَ العبد الرزق بسبب الذنب .
وإن رجعت إلى بيتك وأويت إلى أهلك أكثرت من الاستغفار لربك خشيت أن تكون ظلمت أو أخطأت ، فترجع إلى بيتك وأنت مغسول من الذنوب والخطايا .

فأكثر من الاستغفار لله فإن الاستغفار سبب من أسباب الرحمة ، ولذلك كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يستغفر الله ، ويستفتح الصلاة بالاستغفار ، ويسأل ربه أن يغسله من الذنوب والخطايا بالماء والثلج والبرد .
ومن علم أن الذنوب شؤمها عظيم ، وبلائها وخيم وعاقبتها سيئة :

فكم من ذنب قاد إلى حرمان الرزق . وكم من ذنب أظلم به القلب . وكم من ذنب طمست به البصيرة . وكم من ذنب فسدت به العيال . وكم من ذنب ذهبت به الأموال . وكم من ذنب كان سببًا في سوء الخاتمة والعياذ بالله وسوء الحال .

الذنوب يريد إلى الكفر ، وطريق إلى الكفر ، فعلى العبد أن يفر منها إلى أرحم الراحمين ، وخير الغافرين ، وأن يستيقن أن الله حلیم رحيم : من تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا ، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة .

فلهذا أدعوكم أخواني ونفسي المذنبية إلى قول ربنا الغفور الغفار :

١ - (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران / ١٣٣) .

٢ - (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الحديد / ٢١) .

٣ - (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر / ٥٣) .

٤ - (نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الحجر / ٤٩) .

٥ - (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (الأنفال / ٣٣) .

٩ - (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) (النساء / ١١٠) .

أسباب المغفرة في القرآن والسنة المطهرة^(١)

إنَّ كتاب الله تعالى قد حوى أسبابًا وطرائق يستحق العاملون بها وسالكوها - إن شاء الله - مغفرة الله وتجاوزه لهم عما كان من معصية وإسراف ، وإن كنتُ أحبُّ التنبيه إلى أنَّ بعض من غلبوا رجائهم على خوفهم من الله إذا ذكَّرت أحدهم بالله وخوفته واجهك بأنَّ الله يقول : (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ) ونسي أو تناسى تمام الآية : (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) وعليه فإن على الداعية أن يوازن بين المواقف وأحوال مدعوِّيه ويذكر إلى جانب سعة رحمة الله أنه شديد العقاب يمهل ولا يهمل وأنَّ أخذه - لمن لم يستح منه - أليم شديد .

١ - الإسلام

قال الله تعالى : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ) (الأنفال / ٣٨) .
وعن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ " (م / ٣٣٦) .

٢ - التوحيد

من أسباب المغفرة التوحيد وهو السبب الأعظم ، فمن فقدته فقد المغفرة ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة ، قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (سورة النساء / ٤٨ و ١١٦) فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض ، وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة ، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل ، فإن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة .

٣ - الإيمان والعمل الصالح

أعظم ما تُنال به مغفرة الله تعالى التقربُ إليه بالإيمان به والاستسلام التام له والعمل الصالح على وفق ما شرعَ ومن قام لله بالإيمان وتقرب إليه بصالح العمل فهو موعود من الله بالمغفرة والرضوان بقول الله تعالى :
(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (المائدة / ٩) ومن أصدق من الله قيلاً !

(١) جمعت هذا الموضوع من أقوال بعض المشايخ وطلبة العلم - بتصرف واختصار وترتيب - ومنهم : (عبد الله السعد ، عبد الله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله ، عبد الله بن عقيل ، علي بن نايف الشحود ، وغيرهم ، وقد أطلت الكلام عليها بالداخل ولم أذكر هذه الأسباب مجتمعة وإنما اخترت منها ما اقتنعت أن الدليل يدعمه) .

٤ - الاستغفار

ومن أهم موجبات المغفرة وأجمعها طلبُ المغفرة من الله بالاستغفار وفي ذلك يقول تعالى :
(وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المزل / ٢٠) ويقول تعالى : (وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)
(النساء / ١٠٦) والقرآن دلٌّ على أن من استغفر الله تائبًا وعازمًا على ترك الإصرار على المعصية فسيتجيب
الله دعائه ويغفر له قال الله تعالى : (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا)
(النساء / ١١٠) وهذا وعدٌ من الله لا يتخلف ولا يتبدل ومن أوفى بعهده من الله ؟ .

٥ - التوبة

التوبة إلى الله عز وجل :

التوبة هي : رجوعُ العبد إلى الله والإنابة إليه ، ولها شروط ثلاثة وهي : الندم ، والإقلاع عن الذنب ، والعزيمة
على عدم العودة ، وإن كان ذلك في حق أخيك المسلم فترد عليه حقه أو التحلل منه .
والتوبة من أفضل الأعمال وأجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه عز وجل ، وقد بين مكانة هذه العبادة
عند الله عز وجل ، الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بقوله : " لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي
أَرْضٍ دَوْبَةٍ مَهْلَكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ثُمَّ قَالَ
أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ . فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ
وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَالَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ " (م / ٧١٣١) .
- يقول ابن القيم في (مدارج السالكين / التوبة) : (فلاهل الذنوب ثلاثة أنهار عظام يتطهرون بها في الدنيا ،
فان لم تف بطهرهم طهروا في نهر الجحيم يوم القيامة : نهر التوبة النصوح ، ونهر الحسنات المستغرقة للأوزار
المحيطة بها ، ونهر المصائب العظيمة المكفرة . فاذا أراد الله بعبده خيرًا أدخله أحد هذه الأنهار الثلاثة ، فورد
القيامة طيبًا طاهرًا ، فلم يحتج الى التطهير الرابع) .

٦ - الاستقامة

والاستقامة هي لزوم طاعة الله تعالى وتشمل فعل جميع الواجبات وترك المحرمات ، فعَنْ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " اسْتَقِيمُوا ، وَلَنْ تُحْصُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ
الصَّلَاةُ ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ " (صحيح ابن ماجه / ٢٧٧) .
وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ
عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ - قَالَ : " قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَ " (م / ١٦٨) .
فأسباب المغفرة كلها منحصرة في هذه الأسباب الأربعة : (الإيمان الصادق والعمل الصالح والتوبة النصوح
والاستقامة على ذلك) فالتوبة تَجُبُّ ما قبلها والإيمان والإسلام يهدم ما قبله والعمل الصالح الذي هو

الحسنات يذهب السيئات ، وسلوك طرق الهداية من تعلم علم وتعليمه والدعوة إليه والعمل به والصبر عليه كلها مكفرات للذنوب وموجبات للمغفرة والرحمة والرضوان ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

٧- التقوى

ومن أسباب المغفرة في القرآن تقوى الله بفعل مأموراته واجتناب محارمه ومحظوراته ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الأنفال / ٢٩) وقال سبحانه : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) (الطلاق / ٥) .

٨- الاتصاف بهذه الصفات :

أ - وجل القلب من ذكر الله تعالى . ب - ازدياد الإيمان بسماع القرآن .
ج - التوكل على الله . د - إقامة الصلاة . هـ - الإنفاق في سبيل الله .

فهذه الصفات الأربع من اتصف بها مجتمعة كان مؤمناً حقاً كما نصَّ الله على ذلك في كتابه بقوله : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال / ٢-٣) .

مع أنَّ القرآن نصَّ على مغفرة الله لمن اتصف ببعضها كالإنفاق في سبيل الله فقد قال الله فيه : (إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (التباين / ١٧) .

٩- البعد عن الكبائر واجتناب السيئات

ومن أسباب المغفرة في القرآن حرص المسلم على أن لا يقترف كبيرة من كبائر الذنوب التي جاء الوعيد من الله أو رسوله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - أو منهما في مرتكبها على القول بانقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر ، قال الله تعالى : (إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) (النساء / ٣١) وصغائر الذنوب لا يسلم منها أحدٌ مهما بلغ من الإيمان والطاعة لله لأنَّ من اجتمع له ترك الصغائر والكبائر بالكلية فهو معصومٌ ، ولا عصمة لأحدٍ بعد رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - ، وفي السنة النبوية جاء ما يدل على أن من اجتهد في مجانبة الوقعة في كبائر الذنوب يتجاوز الله له عن صغائرها كما في الصحيح أنه - صَلَّى الله عليه وسلَّم - قال : " الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِّمَا بَيْنَهُنَّ " (م / ٥٧٣) وقال - صَلَّى الله عليه وسلَّم - في الصحيح كذلك : " مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوئَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِّمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ " (م / ٥٦٥) .

اجتناب السيئات والذنوب :

قال تعالى : (وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) (النجم / ٣١-٣٢) .

وقال تعالى : (إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) (النساء / ٣١) .

فهذا وعد من الله لعباده أنهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات غفر لهم جميع الذنوب والسيئات ، وأدخلهم مدخلا كريما - كثير الخير - وهي الجنة المشتملة على ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر. ويدخل في اجتناب الكبائر : فعل الفرائض التي يكون تاركها مرتكبا للكبائر ، كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ " (م / ٥٧٣) ، فاجتناب السيئات والذنوب بشئ أنواعها سبب لغفران الذنوب .

١٠ - الاعتراف بالذنوب

ومن أسباب المغفرة في القرآن الاعتراف بالذنوب والتذلل لله وصدق الضراعة له فإن موسى عليه السلام حين قتل الرجل ندم على قتله وتضرع إلى الله معترفا بذنبه فقال الله عنه : (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (القصص / ١٦) .

١١ - صدق المراقبة

ومن أسباب المغفرة في القرآن صدق المراقبة لله وتعظيمه بحيث لا يؤثر في العبد اجتماعه بالناس ومراقبتهم له وتطلعهم إليه أوخلوه بمحارم الله وأمنه من نظر الناس إليه ، فالأمران سيان عنده إذ هو يخشى رب الناس ولا يبالي بالناس ، ومن كان هذا حاله فإن الله بشره بالمغفرة والأجر الكريم يوم قال : (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) (يس / ١١) وأعاد له الوعد بالمغفرة بقوله سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (الملك / ١٢) وعلى النقيض من ذلك من كان همهم رضى الناس وما يقول الناس ، فما يخلو أحدهم لله بحرمة إلا انتهكها على أقبح وجه ، ويجعل الله جزاءهم من جنس عملهم كما صحت بذلك السنة فتأتي حسناتهم يوم القيامة أمثال الجبال كما كانت مظاهرهم في الدنيا أمام الناس ثم يأمر الله بها فتكون هباء منثورا كما فعلوا هم بالتدين والخشية التي نزعوا قناعها في خلواتهم ، ولا يظلم ربك أحدا .

١٢ - اصلاح الباطن

ومن أسباب المغفرة في القرآن إصلاح العبد باطنه وسلامة مقاصده ونواياه بحيث لا يبطن إلا خيرا ولا يريد وينوي بفعل أو قول أو إشارة على أحد أو رأي إلا الخير ، ومن أطلع الله من باطنه على هذا فلم ير فيه إلا كمال

المقصد وخلص الطوية فقد أفلح وأنجح قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنفال / ٧٠) .

١٣ - اتباع سنة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

ومن أسباب المغفرة في القرآن اتباع السنة النبوية والعرض عليها سيما في أزمنتنا هذه التي انتهج كثير من المسلمين منهج نبذها من حياتهم وممارساتهم اليومية مكاناً قصياً ، قال الله تعالى :

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران / ٣١)
فاتباع السنة النبوية والالتزام بها مجلبة لمحبة الله تعالى للمستن بها ومحصل للمغفرة .

١٤ - التأدب مع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

ومن أسباب المغفرة في القرآن الأدب مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بغض الصوت عنده حياً ، وعند قبره بعد موته صلوات الله وسلامه عليه ، فتلكم أمانة صادقة على تقوى المتخلق بهذا الأدب الرفيع ، وهي موجبة لمغفرة الله والأجر العظيم ، قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (الحجرات / ٣) فدلالة الآية على غض الصوت عنده في حياته تامة الظهور ، وأما بعد موته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقد نص العلماء رحمهم الله على أنه محترم حياً وميتاً ، وأن حرمة رفع الصوت بجوار قبره كحرمة رفعه بحضرته في حياته ، ولا أدل على ذلك من فعل عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، فعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَّنِي رَجُلٌ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ : اذْهَبْ فَأَتِنِي بِهِذَيْنِ فَجِئْتُهُ بِهِمَا ، قَالَ مَنْ أَنْتُمْ ؟ ، أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ ؟ قَالَ : مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ ، قَالَ : لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا ، تَرَفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . (خ / ٤٧٠) .

١٥ - الاستجابة لداعي الله

ومن أسباب المغفرة في القرآن الاستجابة لداعي الله في أزمنة إعراض الناس واجتماع كلمتهم على الكفر والفسوق ، وهذه هي غربة الدين ، قال تعالى : (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) (الأحقاف / ٣١) ، وكما في قصة القرية التي بعث الله لها ثلاثة رسل فما زادتهم زيادة عدد الرسل إليهم إلا إمعاناً في الغواية واجتماعاً على الكفر ، فجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى يصدع بإيمانه بهم ويدعو قومه إلى ذلك فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى لقي الله شهيداً فقال الله عنه : (وَاصْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (١٩) وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ

يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (يس / ٢٦ - ٢٧) .

١٦ - السبق إلى الطاعة

ومن أسباب المغفرة في القرآن السبق إلى الطاعات عمومًا ، فإن الله يحب التنافس في السبق على مرضاته كما قال : (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين / ٢٦) ، ولا يكون التنافس فيه إلا بالتسابق في الطاعة ، ودليل هذا السبب أن مؤمني بني إسرائيل لما هددهم فرعون بالتقتيل والتمثيل بهم حكى الله عنهم أنهم قالوا له : (إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) (الشعراء / ٥١) ، فبنوا طمعهم في مغفرة الله تعالى لهم على سبقهم إلى الإيمان وكونهم أول المؤمنين .

١٧ - السداد في القول

ومن أسباب المغفرة في القرآن السداد في القول مع تقوى الله وذلك بأن لا يقول المسلم إلا حقًا وعدلًا ولا يشهد بما لا علم له به ولا يفتي بما يجله ولا يرمي أحدًا بزور ولا يأتي شيئًا من منكر الأقوال عمومًا فمن اتقى الله وعمل بذلك فقد وعده الله بالمغفرة بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (الأحزاب / ٧٠ - ٧١) .

١٨ - العفو عند المقدرة

ومن أسباب المغفرة في القرآن العفو عند المقدرة والتمكن من مصالح عباد الله كما جاء في قصة الإفك لما حلف الصديق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ألا ينفع مسطح بن أثاثه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال مما أشاعه المنافقون فأنزل الله تعالى قوله : (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور / ٢٢) ، فمن عفا عن عباد الله عفا الله عنه ومن يسر عليهم يسر الله عليه ، ولذلك أدرك الصديق هذا السبب فأرجع نفقته على مسطح وهو يقول مجيبًا لله تعالى : بلى ، والله إنا نحب يا ربنا أن تغفر لنا .

- ومن أسباب المغفرة في القرآن أن يرجع الولي وقيم الأسرة ورثتها عن عقوبة الزوج والولد إن هو هم بذلك وعزم عليه قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التغابن / ١٤) فإن من تأخر عن الهجرة من الصحابة لما جاءوا إلى المدينة ورأوا غيرهم قد فقه في دين الله هموا بمعاقبة أهلهم الذين كانوا سببًا في قعودهم وتأخرهم عن اللحاق بالمهاجرين فنزلت هذه الآية لتخبرهم بأن الله سيعاملهم في حال صفحكم عنهم ومغفرتكم لزلتهم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم بمغفرته لكم ويجعل جزائكم من جنس عملكم مع أهلهم وأولادكم .

١٩ - الذكر عند سماع الأذان

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَضِيَ اللَّهُ بِهِ رَجُلًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا . غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ " (م / ٨٧٧) .

٢٠ - صلاة ركعتين لا يسهو فيهما

صلاة ركعتين لا سهو فيهما : لقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوئَهُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يَسْهُو فِيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " (صحيح أبي داود / ٩٠٥) .

٢١ - الموافقة لتأمين الملائكة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " (خ / ٧٨٠ ، م / ٩٤٢) .

٢٢ - موافقة الملائكة في قول سمع الله لمن حمده

من وافق قوله : (سمع الله لمن حمده) قول الملائكة : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " إِذَا قَالَ الْإِمَامُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " (خ / ٧٩٦ ، م / ٩٤٠) .

٢٣ - الحج

الحج المبرور : عن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ " (خ / ٣٣٦) .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ " (خ / ١٥٢١) .

٢٤ - مسح الحجر الأسود

مسح الحجر الأسود والركن اليماني : عَنْ ابْنِ عُمرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " إِنَّ مَسْحَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، وَالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ يَحُطُّانِ الْخَطِيئَاتِ حَطًّا " (صحيح) انظر حديث رقم : ٢١٩٤ في صحيح الجامع .

٢٥ - الهجرة و الجهاد

الهجرة في سبيل الله : وهي الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام قال الله تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (النحل / ١١٠) . وحديث عمرو بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - المتقدم وفيه : " وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا " (خ / ٣٣٦) .

٢٦ - الرجوع عن الإيلاء قبل الأجل المحدود

ومن أسباب المغفرة في القرآن الفيئة عن الإيلاء قبل الأجل المحدود وهو أربعة أشهر قال الله تعالى : (الَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (البقرة / ٢٢٦) ، فنص الآية يدل على أن الله يغفر للمؤلي بفيئته .

٢٧ - الإحسان

الإحسان إلى الناس وكف الأذى عنهم :

قال تعالى : (وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور / ٢٢) .

سبب نزول هذه الآية أن أبا بكر - رضي الله عنه - كان يتصدق على مسطح بن أثاثه - رضي الله عنه - ، فعندما حصل منه ما حصل تجاه عائشة - رضي الله عنها - امتنع من الإحسان إليه ، فنزلت هذه الآية الكريمة ، كما في الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

و من صور الإحسان ما يلي : -

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ " قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟ قَالَ : " فِي كُلِّ رَطْبَةٍ أَجْرٌ " (خ / ٢٣٦٣ ، م / ٥٩٩٦) .

فغفر لهذا الرجل بسبب إحسانه لهذا الكلب ، فكيف بمن يحسن إلى الناس ، ويسعى إلى تفريج كربهم !؟ .

وكما أن أذى الناس من الأسباب المانعة لمغفرة الذنوب ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) (الأحزاب / ٥٨) .

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ " قالوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ . فَقَالَ : " إِنَّ الْمُفْلِسَ مَنْ أَمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ " (م / ٦٧٤٤) .

٣- وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول : " تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالُوا أَعْمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا قَالَ : كُنْتُ أَمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظَرُوا وَيَتَجَاوَزُوا ، عَنِ الْمُوسِرِ قَالَ : قَالَ : " فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ " .

وَقَالَ أَبُو مَالِكٍ عَنْ رَبِيعٍ : (كُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَى الْمُوسِرِ وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ) .

وَقَالَ أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ رَبِيعٍ : (أَنْظِرُ الْمُوسِرَ وَأَتَجَاوَزُ ، عَنْ الْمُعْسِرِ) .
وَقَالَ نَعِيمُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ عَنْ رَبِيعٍ : (فَأَقْبَلُ مِنَ الْمُوسِرِ وَأَتَجَاوَزُ ، عَنْ الْمُعْسِرِ) (خ / ٢٠٧٧) .
فالإحسان إلى الناس ، والتخفيف عنهم ، وتفريج كربهم ، وقضاء حوائجهم ، وكف الأذى عنهم ، سبب لمغفرة الله للعبد .

٢٨ - التجاوز عن المعسرين

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " حُسْبُ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِرًا فَكَانَ يَأْمُرُ غُلَمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنْ الْمُعْسِرِ ، قَالَ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ تَجَاوَزُوا عَنْهُ) . (م / ٤٠٨٠) .
يقف العبد بين يدي الله يوم القيامة ، فتعظم عليه الذنوب وتكثر منه الخطايا والعيوب ، فيقول الله عز وجل : إنه كان يتجاوز عن المعسرين ، ونحن أحق بالتجاوز عنه ، قد غفرت لعبدي وتجاوزت عنه .
فمن أسباب الرحمة رحمة العباد ، والإحسان إليهم ، وشملهم بالعفو والمغفرة ، فمن عامل الناس بالسماحة عامله الله بالرحمة ، والراحمون يرحمهم الله .

٢٩ - المرض

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا مَرَضَ أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مَلَائِكَتِهِ ، فَيَقُولُ : يَا مَلَائِكَتِي أَنَا قَيِّدْتُ عَبْدِي بِقَيْدٍ مِنْ قِيُودِي ، فَإِنْ قَبَضْتُهُ ، أَغْفِرْ لَهُ ، وَإِنْ أَعَافِهِ فَحِينَئِذٍ يَقْعُدُ وَلَا ذَنْبَ لَهُ " .
(حسن) انظر حديث رقم : ١٦٧٣ في صحيح الجامع .
عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" إِذَا اشْتَكَى الْمُؤْمِنُ أَخْلَصَهُ ذَلِكَ ، كَمَا يُخْلَصُ الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ " .
(صحيح) انظر حديث رقم : ٣٤٤ في صحيح الجامع .

٣٠ - البلاء والمصائب

المصائب والبلاء الذي يصيب المسلم في الحياة الدنيا .
قال تعالى : (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) (آل عمران / ١٣٩ - ١٤٢) .
وقال تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور / ١١٠) .
عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا " (خ / ٥٦٤٠ ، م / ٦٧٣٠)
وعن أبي سعيد الخدري ، و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال :
" مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ ، وَلَا وَصَبٍ ، وَلَا هَمٍّ ، وَلَا حُزْنٍ ، وَلَا أَذًى ، وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا إِلَّا
كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ " (خ / ٥٦٤١ ، ٥٦٤٢) .

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ " (صحيح الترمذي / ٢٣٩٩) .

وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ : " الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا مَثَلَ ،
يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صَلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَلَى حَسَبِ
دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَدْعُهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ ، وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ " . (صحيح الترغيب / ٣٤٠٢) .

٣١ - الاجتماع على الذكر

الاجتماع على ذكر الله : عن سهل بن الحنظلية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ عَلَى ذِكْرِ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ إِلَّا قِيلَ لَهُمْ : قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ " (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٥٠٧ في صحيح الجامع .

عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى ، إِلَّا
نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ " . (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٦٠٩ في صحيح الجامع .

٣٢ - الدعاء مع الرجاء

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : " قَالَ اللَّهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ
ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ
لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا لَا تَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً " (صحيح الترمذي / ٣٥٤٠) .

وقد تضمن هذا الحديث أسبابًا ثلاثة تحصل بها المغفرة :

أولها - وهو الشاهد - : الدعاء مع الرجاء : فإن الدعاء مأمور به وموعد عليه بالإجابة كما قال تعالى :
(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر / ٦٠) وَعَنْ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ
النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : " الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ " (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر /
٦٠) (صحيح الترمذي / ٢٩٦٩) ، ولهذا نهى العبد أن يقول في دعائه : اللهم اغفر لي إن شئت . " لا

يَقُلْ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ وَلْيَعِزِّمْ مَسْأَلَتُهُ إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا مُكْرَهَ لَهُ " (خ / ٧٤٧٧) .

فمادام العبد يلج في الدعاء ويطمع في الإجابة من غير قطع الرجاء فهو قريب من الإجابة ، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له . قال تعالى : (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (سورة الأعراف / ٥٦) .

— شروط إجابة الدعاء :

الدعاء سبب مقتض للإجابة مع استكمال شرائطه وانتقاء موانعه ، وقد تتخلف الإجابة لانتقاء بعض شروطه ، أو وجود بعض موانعه وآدابه . ومن أعظم شرائطه :

— حضور القلب ورجاء الإجابة من الله : كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَهُ " (صحيح الترمذي / ٣٤٧٩) .

— ترك الاستعجال مع الإلحاح في الدعاء : ونهى أن يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الإجابة ، وجعل ذلك من موانع الإجابة حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعائه ، ولو طالت المدة ، ففي الحديث : " يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولُ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي " (خ / ٦٣٤٠ ، م / ٧١١٠)

— من أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه : وما يستلزم ذلك كالنجاة من النار ودخوله الجنة ، وقد قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " حَوْلَهَا نُذُنْدُنُ " (صحيح أبي داود / ٧٩٢) يعني : حول سؤال الجنة والنجاة من النار . وقال أبو مسلم الخولاني : ما عرضت لي دعوة فذكرت النار إلا صرفتها إلى الاستعاذة منها .

— سبب صرف الإجابة عن العبد : ومن رحمة الله تعالى بعبد أن العبد يدعوه بحاجة من الدنيا ، فيصرفها عنه يعوضه خيراً منها بإحدى ثلاث :

١ - إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ .

٢ - أَوْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ .

٣ - وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السَّوِّءِ مِثْلَهَا .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِنْثَمٌ ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ ، إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السَّوِّءِ مِثْلَهَا ، قَالُوا : إِذَا نُكِّثُ : قَالَ : اللَّهُ أَكْثَرُ " .

(صحيح الترغيب / ١٦٣٣)

وبكل حال فالإلحاح بالدعاء بالمغفرة مع رجاء الله ؛ موجب للمغفرة . والله تعالى يقول : " أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ " (صحيح) انظر حديث رقم : ٤٣١٦ في صحيح الجامع .

- ذنوب العبد وإن عظمت عفو الله أعظم منها : وقوله : " إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي " .

يعنى على كثرة ذنوبك ، ولا يعاظمي ذلك ، ولا استكثره ، فعن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال :
" إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ وَلَكِنْ لِيَعِزَّ الْمَسْأَلَةُ وَلِيُعَظَّمَ الرَّغْبَةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ " (م / ٦٩٨٨) . فذنوب العبد - وإن عظمت - فإن عفو الله ومغفرته أعظم منها ، وهى صغيرة فى جنب عفو الله ومغفرته . وفى هذا المعنى يقول بعضهم :

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثَرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمُجْرِمُ
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلُ عَفْوَكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

فإن دعاء الله عز وجل سبب عظيم لمغفرة الذنوب والتجاوز عن العيوب والسيئات . قال تعالى : (رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَبْ لَهُمْ رَّبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٌ عَامِلٌ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) (آل عمران / ١٩٣ - ١٩٥) .

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي ، قَالَ : قُلْ : " اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " (خ / ٨٣٤)

فعلى العبد أن يكثّر من دعاء الله عز وجل أن يغفر له ذنوبه ويتجاوز عن عيوبه ، لا سيما في أوقات الإجابة ، كجوف الليل الآخر ، وآخر ساعة من يوم الجمعة ، وبين الأذان والإقامة ، وغير ذلك .
وقال تعالى : (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الحديد / ٢١) .

فيا أيها المسلم عليك بالسعي بتحصيل أسباب المغفرة وخاصة في الأزمنة الفاضلة ، والأماكن المعظمة ، لعلك بذلك أن تكون واحد ممن شملهم وعد الله لك بالمغفرة ، والذين هم محل الحديث في الصفحات التالية إن شاء الله . هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أولاً

الموعودون بالمغفرة

في القرآن

الذي يُسلم بعد كفره

قال تعالى : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) (الأنفال / ٣٨) .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (١١ / ١٧٦) :

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ : إِنْ يَنْتَهُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَفِتَالِكَ وَقِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ فَيُتَبَّعُوا إِلَى الْإِيمَانِ ، يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ مَا قَدْ خَلَا وَمَضَى مِنْ ذُنُوبِهِمْ قَبْلَ إِيْمَانِهِمْ وَإِنَابَتِهِمْ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ بِإِيْمَانِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ .

(وَإِنْ يَعُودُوا) يَقُولُ : وَإِنْ يَعُدُّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لِقِتَالِكَ بَعْدَ الْوُقْعَةِ الَّتِي أَوْقَعْتَهَا بِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتِي فِي الْأَوَّلِينَ مِنْهُمْ بِبَدْرٍ وَمَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ إِذْ طَعَوْا وَكَذَّبُوا رُسُلِي وَلَمْ يَقْبَلُوا نُصْحَهُمْ مِنْ إِخْلَالِ عَاجِلِ النَّقَمِ بِهِمْ ، فَأَحَلَّ بِهِؤُلَاءِ إِنْ عَادُوا لِحَرْبِكَ وَقِتَالِكَ مِثْلَ الَّذِينَ أَحَلَلْتُ بِهِمْ .

قال ابن كثير في تفسيره (٤ / ٥٤) :

أي : ينتهوا عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة ، يغفر لهم ما قد سلف ، أي : من كفرهم ، وذنوبهم وخطاياهم ، كما جاء في الصحيح ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْوَخُذُ بِمَا عَمَلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالَ : " مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخِذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ " . (خ / ٦٩٢١ ، م / ٣٣٤) .

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / ٣٢١) :

هذا من لطفه تعالى بعباده لا يمنعه كفر العباد ولا استمرارهم في العناد ، من أن يدعوهم إلى طريق الرشاد والهدى ، وينهاهم عما يهلكهم من أسباب الغي والردى ، فقال : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا) عن كفرهم وذلك بالإسلام لله وحده لا شريك له .

(يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) منهم من الجرائم (وَإِنْ يَعُودُوا) إلى كفرهم وعنادهم (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) بإهلاك الأمم المكذبة ، فلينتظروا ما حل بالمعاندين ، فسوف يأتيهم أبناء ما كانوا به يستهزئون ، فهذا خطابه للمكذبين ، وأما خطابه للمؤمنين عندما أمرهم بمعاملة الكافرين ، فقال : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً) أي : شرك وصد عن سبيل الله ، ويدعنا لأحكام الإسلام ، (وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) فهذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين ، أن يدفع شرهم عن الدين ، وأن يذب عن دين الله الذي خلق الخلق له ، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان .

فمن أسباب المغفرة في القرآن ، الإسلام بعد الكفر ، قال الله تعالى : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) فكلُّ من دانَّ بدين الإسلام فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ قَبْلَ إِسْلَامِهِ ، وفي الحديث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : " الْإِسْلَامُ يَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ " (صحيح) انظر حديث رقم : ٢٧٧٧ في صحيح الجامع ، وفي الحديث عَنْ أَبِي طَوِيلٍ شَطَبٍ الْمَمْدُودِ ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً إِلَّا أَتَاهَا ،

فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: " فَهَلْ أَسَلَمْتُ؟ " قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: " نَعَمْ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللَّهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهِنَّ "، قَالَ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: " نَعَمْ "، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى .
(صحيح الترغيب / ٣١٦٤) .

الذي يحقق التوحيد الخالص

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) (٤٨)

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٧ / ١٢١) :

يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاهُ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ) ، وَ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ الشَّرْكَ بِهِ وَالْكَفْرَ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ الشَّرْكَ لِمَنْ يَشَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ الشَّرْكَ بِهِ الْكَفَرِ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ .

وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَى الْكَلَامِ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ : (أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) فِي مَوْضِعِ نَصْبِ بُوْقُوعِ يَغْفِرُ عَلَيْهَا وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ بِفَقْدِ الْخَافِضِ الَّذِي كَانَ يَخْفِضُهَا لَوْ كَانَ ظَاهِرًا ، وَذَلِكَ أَنْ يُوجَّهَ مَعْنَاهُ : إِلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ بَأَنْ يُشْرَكَ بِهِ عَلَى تَأْوِيلِ الْجَزَاءِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ ذَنْبًا مَعَ شَرِكٍ أَوْ عَنْ شَرِكٍ .

وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ يَتَوَجَّهُ أَنْ تَكُونَ أَنْ فِي مَوْضِعِ خَفَضٍ فِي قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ .

قال مصطفى العدوي في سلسلة التفسير (١١ / ٣) :

وهذه الآية ردٌ على كثير من الفرق التي ابتدعت في الإسلام ، كفرقة الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي ، وكفرقة المعتزلة ، وعدد من الفرق .

فأي شخص يموت على الشرك لا يغفر له هذا الشرك ، ولكن إن أشرك وتاب في الدنيا قبل الممات ، فالله تعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وقد كان أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قبل هدايتهم أهل شرك ، فتابوا وأسلموا فتاب الله تعالى عليهم ، فالآية أصلٌ من أصول أهل السنة والجماعة في أنه لا يلزم أن يعذب صاحب الكبيرة وإن لم يتب ، فإذا ارتكب شخصٌ كبيرة ، كسرقة ، أو زنى ، أو قتل ، أو شرب خمر ، ولم يتب منها فليس بلازم أن يعذب ، وأمره إلى الله تعالى فإن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له ، خلافاً لأهل الاعتزال القائلين بوجوب الاستغفار حتى ينجو الشخص من العذاب . ١ . هـ

- تحقيق التوحيد يوجب مغفرة الذنوب : فإن كمل توحيد العبد ، وإخلاصه لله فيه ، وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه ، أوبقلبه ولسانه عند الموت ؛ أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ، ومنعه من دخول النار بالكلية .

فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه ؛ أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً ، وإجلالاً ، وخشية ، ورجاء ، وتوكلًا . وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياها كلها ولو كانت مثل زبد البحر ، وربما قلبتها حسنات ؛ فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم ، فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات .

تحقيق التوحيد واجتناب الشرك

قال تعالى : (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (الأنعام / ٨٢) ، أي : آمنوا بالله ولم يلبسوا إيمانهم بشرك ، فلهم الأمن في الآخرة ، وهم مهتدون في الدنيا .

فالتوحيد هو أساس الدين ، وهو الشرط الأول لقبول القربات والطاعات ومغفرة الذنوب ، وتحقيقه يكون بتخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي ، فيكون بإفراد الله عز وجل بالعبادة وإثبات ما أثبتته الله لنفسه ، ومراقبته والتعلق به ، وكثرة دعائه واللجوء إليه ، والإتيان بالأركان والواجبات وتكميل ذلك بالسنة والمستحبات .

وترك ما ينافي ذلك كله من الشرك الأكبر الذي ينافي أساس التوحيد وأصله ، وترك الشرك الأصغر والكبائر والتي تنافي كمال التوحيد الواجب ، وترك كل ما ينافي كماله المستحب من الاسترقاء - وهي طلب الرقية من الغير - ، ومثله الاكتواء ، كما في الحديث عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمًا فَقَالَ : " عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ أُمَّتِي فَقِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ثُمَّ قِيلَ لِي انْظُرْ فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَقِيلَ لِي انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَقِيلَ هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ " فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَتَذَكَّرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا : أَمَّا نَحْنُ فَوُلَدُنَا فِي الشَّرْكِ وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا فَبَلَغَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : " هُمُ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَكْتُمُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ فَقَالَ : أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " نَعَمْ " فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ : أَمِنْهُمْ أَنَا ؟ فَقَالَ : " سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ " (خ / ٥٧٥٢ ، م / ٥٤٩) .

ومما يحقق التوحيد محبته . محبة التوحيد وأهله والذود عن أعراضهم والرد على مخالفاتهم . قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن يرحمه الله : من لم يحب التوحيد لم يكن موحدًا ؛ لأنه هو الدين الذي رضي الله لعباده ، كما قال تعالى : (وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة / ٣) .

وقال الإمام ابن تيمية - يرحمه الله - : من أحب الله أحب دينه ، وما لا فلا .

كما أن الشرك أعظم سبب يمنع العبد من مغفرة الذنوب ، قال تعالى : (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام / ٨٨) وقال : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)

(النساء / ٤٨) . انظر مجموعة التوحيد ١ / ٥١ .

فتحقيق التوحيد واجتناب الشرك من أعظم الأسباب التي يتحقق من خلالها المغفرة للعبد ، فقد أخرج مسلم عن أبي ذر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول : " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَمَنْ لَقِيَني بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً " . (م / ٧٠٠٩)

وفي الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول : " إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجْلًا كُلُّ سِجْلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَفَلَاكَ عُذْرٌ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ،

فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : اخْضُرْ وَزَنْكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ ، قَالَ : فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ ، فَلَا يَنْثَقِلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ " (صحيح الترمذي / ٢٦٣٩) .

قال العلامة ابن القيم - يرحمه الله تعالى - : ويعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك ما لا يعفى لمن ليس كذلك ، فلو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله شيئاً البتة ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة ، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده ، فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب ؛ لأنه يتضمن من محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب ، ولو كانت قراب الأرض ، فالنجاسة عارضة ، والدافع لها قوي . ١ . هـ . إغاثة اللفهان (٦٣/١) .

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

- (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (المائدة / ٩) .
 (فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الحج / ٥٠) .
 (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (سبا / ٤) .
 (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (فاطر / ٧) .
 (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح / ٢٩) .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢٥ / ٨) :

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) .
 يَعْنِي جَلَّ ثَنَاهُ بِقَوْلِهِ : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وَعَدَ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ الَّذِينَ صَدَقُوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ ، وَأَقْرَبُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ ، وَعَمِلُوا بِمَا وَاثَقَهُمُ اللَّهُ بِهِ ، وَأَوْفُوا بِالْعُقُودِ الَّتِي عَاقَدَهُمْ عَلَيْهَا
 بِقَوْلِهِمْ : لَنَسْمَعَنَّ وَلَنَطِيعَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . فَسَمِعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ ، وَأَطَاعُوهُ فَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ ، وَانْتَهَوْا
 عَمَّا نَهَاَهُمْ عَنْهُ .

وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ : (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ وَفَوْا بِالْعُقُودِ وَالْمِيثَاقِ الَّذِي وَاثَقَهُمُ بِهِ رَبُّهُمْ مَغْفِرَةً وَهِيَ سِتْرُ ذُنُوبِهِمْ
 السَّالِفَةِ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَتَغْطِيَتُهَا بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا ، وَتَرْكُهُ عُقُوبَتَهُمْ عَلَيْهَا وَفَضِيحَتَهُمْ بِهَا (وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) يَقُولُ :
 وَلَهُمْ مَعَ عَفْوِهِ لَهُمْ عَنْ ذُنُوبِهِمْ السَّالِفَةِ مِنْهُمْ جَزَاءٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ الَّتِي عَمِلُوهَا وَوَفَّائِهِمْ بِالْعُقُودِ الَّتِي عَاقَدُوا رَبَّهُمْ
 عَلَيْهَا أَجْرٌ عَظِيمٌ ، وَالْعَظِيمُ مِنْ خَيْرٍ غَيْرِ مَحْدُودٍ مَبْلُغُهُ وَلَا يَعْرِفُ مُنْتَهَاهُ غَيْرُهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ .

قال الشنقيطي في أضواء البيان (٢٨١ / ٥) :

قَوْلُهُ تَعَالَى : (فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ
 أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) (الحج / ٥٠ ، ٥١) ، بَيِّنَ - جَلَّ وَعَلَا - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : أَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ
 وَبِرَسُولِهِ ، وَكُلَّ مَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ ، وَعَمِلُوا الْفِعَالِ الصَّالِحَاتِ مِنْ امْتِنَالِ الْأَوَامِرِ ، وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي لَهُمْ مِنَ
 اللَّهِ مَغْفِرَةٌ لِدُنُوبِهِمْ ، وَرِزْقٌ كَرِيمٌ أَيُّ : حَسَنٌ ، هُوَ مَا يَرْزُقُهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ النِّعَمِ فِي جَنَّتِهِ .

قال الرازي في تفسيره (١٤٤ / ١١) :

ثم ذكر وعد المؤمنين فقال تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)
 فالمغفرة إسقاط السيئات كما قال : (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) (الفرقان / ٧٠) والأجر العظيم
 إيصال الثواب وقوله : (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) فيه وجوه : الأول : أنه قال أولاً : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فكأنه قيل : وأي شيء وعدهم ؟ فقال : (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) ، الثاني : التقدير ،
 كأنه قال : وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وقال لهم مغفرة وأجر عظيم ، والثالث : أجرى قوله وعُدَّ
 مجرى قال ، والتقدير : قال الله في الذين ءامنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم ، والرابع : أن يكون
 وعُدَّ واقعاً على جملة لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ، أي : وعدهم بهذا المجموع .

فإن قيل : لِمَ أخبر عن هذا الوعد مع أنه لو أخبر بالموعود به كان ذلك أقوى ؟ قلنا : بل الأخبار عن كون هذا الوعد وعد الله أقوى وذلك لأنه أضاف هذا الوعد إلى الله تعالى فقال وَعَدَ اللَّهُ والإله هو الذي يكون قادراً على جميع المقدورات عالمًا بجميع المعلومات غنيًا عن كل الحاجات وهذا يتمتع الخلف في وعده لأن دخول الخلف إنما يكون إما للجهل حيث ينسى وعده وإما للعجز حيث لا يقدر على الوفاء بوعده وإما للبخل حيث يمنعه البخل عن الوفاء بالوعد وإما للحاجة فإذا كان الإله هو الذي يكون منزّهًا عن كل هذه الوجوه كان دخول الخلف في وعده محالًا فكان الإخبار عن هذا الوعد أؤكد وأقوى من نفس الأخبار عن الموعود به وأيضًا فلأن هذا الوعد يصل إليه قبل الموت فيفيده السرور عن سكرات الموت فتسهل بسببه تلك الشدائد وبعد الموت يسهل عليه بسببه البقاء في ظلمة القبر وفي عرصة القيامة عند مشاهدة تلك الأحوال .

قال فاضل صالح السامرائي في كتابه لمسات بيانية لسور القرآن الكريم (١ / ٥٦) :
في سورة الحديد قال تعالى : (فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)) وفي سورة فاطر أضاف المغفرة فقال : (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)) وفي سورة الملك : (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)) فما دلالة ذكر المغفرة مع الأجر وعدم ذكرها ؟
كل موطن في القرآن يذكر فيه المغفرة يجب أن يذكر فيه الذنوب والكافرين في سائر القرآن . لما يضيف المغفرة للأجر الكبير لا بد أن يسبقها أو يأتي بعدها الذنوب والكافرين ، يذكر في السياق أمرين : الكافرين والذنوب . في سورة فاطر بدأ تعالى بقوله : (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨)) سوء عمله ، هذا ذنب ، (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٠) فاطر) ذكر الكافرين مع الذنب ، (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا) مباشرة بعده في سياق الكفر والذنب . نفس الأمر في سورة الملك (وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ (٦)) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)) ذنب وكافرون ، كلما يقول مغفرة وأجر كبير يسبقها أمران الكفر والذنب . في سورة الحديد لم يذكر الكافرين ولا الذنب فلم يذكر المغفرة . ١. هـ

أعظم ما تُنال به مغفرة الله تعالى التقرب إليه بالإيمان به والاستسلام التام له والعمل الصالح على وفق ما شرع ومن قام لله بالإيمان وتقرب إليه بصالح العمل فهو موعود من الله بالمغفرة والرضوان بقول الله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (المائدة / ٩) ومن أصدق من الله قيلاً !

قال تعالى : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (البقرة / ٢٥)
والجنة دارٌ لا يدخلها ولا يُبشَّر بها إلا من رضي الله عنه وغفر له ، ونظائر هذه الآية الدالة على حميد مآل المؤمنين الذين صلحت أعمالهم وخلص إيمانهم كثيرة جداً في القرآن .
وهذا السبب متضمنٌ كلِّ ما يلي من أسباب المغفرة في القرآن .

— ومن أعظم أسباب المغفرة الإيمان الصادق بالله تعالى وأمره ونهيه ووعدته ووعدته وثوابه وعقابه ، والإيمان بملائكة الله الكرام البررة وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، والإيمان بكتب الله المنزلة على رسله لهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور وفي مقدمتها القرآن الكريم أفضل الكتب السماوية (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (سورة فصلت / ٤٢) وقال تعالى : (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (سورة النحل / ٨٩) وقال تعالى : (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (سورة المائدة / ١٥-١٦) وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) (سورة يونس / ٥٧) .

والإيمان برسول الله عليهم الصلاة والسلام جملة وتفصيلاً وفي مقدمتهم خاتمهم محمد — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — الذي أرسله الله رحمة للعالمين وجعل أمته خير الأمم وكتابه القرآن خير الكتب وشريعته أفضل الشرائع وأسمحها ، وأسمها وأكمل الله له ولأمته دينهم ورضيه منهم وأتم عليهم به النعمة فله الحمد والشكر والثناء على ذلك . والإيمان بالبعث بعد الموت والجزاء والحساب والثواب والعقاب والحوض والميزان والصراط والجنة والنار وأنهما دار ثواب للمحسنين وعقاب للمسيئين . والإيمان بالقدر خيره وشره وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه قال — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : " فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحَّزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَبِيتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَأْتِيَ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ " (م / ٤٨٨٢) .

— ومن أعظم أسباب المغفرة : العمل الصالح . الخالص لله الموافق لسنة رسول الله — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — من صلاة وصدقة وصوم وحج وتلاوة وقرآن وذكر لله ودعاء واستغفار وأمر بمعروف ونهي عن منكر وجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ * خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (سورة لقمان / ٨-٩) وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا) (سورة الكهف / ١٠٧-١٠٨) وفي القرآن ما يزيد على خمسين آية يقرن الله فيها الإيمان بالعمل الصالح ويرتب عليهما سعادة الدنيا والآخرة والسلامة من شقاوة الدنيا والآخرة . والاستمرار على الإيمان الصادق والعمل الصالح والتوبة النصوح مدى الحياة حتى الممات قال الله تعالى : (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ

(الْيَقِينُ) (سورة الحجر / ٩٩) أي حتى تموت وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (سورة الأحقاف / ١٣-١٤) .

الأعمال الصالحة هي السبب من الأسباب العظيمة التي يحصل بها مغفرة الذنوب سواء كان العمل من الواجبات أو المستحبات ، والأدلة على ذلك كثيرة جداً منها :

قوله تعالى : (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (النحل / ٣٢) فلا يدخلون الجنة إلا بغفران ذنوبهم . وقوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال / ٢-٤) ، إقامة الصلاة في وقتها وبأركانها وواجباتها وإخراج الزكاة وغير ذلك من الأعمال الصالحة سبب لمغفرة الذنوب والرزق الكريم .

قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السُّلَمِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : " مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضَّمُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَشِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخِيَاشِمِهِ ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ " (م / ١٩٦٧) .

وفي الصحيحين : " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا ، وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " ، (خ / ٣٨ ، م / ١٨١٧) .

وفي رواية : " مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " (خ / ٣٧ ، م / ١٨١٥) .

وفي رواية : " مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " . (خ / ١٩٠١) .

وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ فَقَالَ : " يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ " . قَالَ وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَقَالَ : " يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ " . (م / ٢٨٠٤) .

والأدلة في هذا كثيرة من القرآن والسنة ، وهذا أمر معلوم لدى كل مسلم ، فعلى كل أحد أن يكثُر من الأعمال الصالحة قولية كانت أم فعلية .

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) الصف .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (22 / 616) :

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) مُوجِعٌ ، وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ ؛ ثُمَّ بَيَّنَ لَنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا تِلْكَ التِّجَارَةُ الَّتِي تُنْجِيْنَا مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ، فَقَالَ : (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

وَقَوْلُهُ : (وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) . يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَتُجَاهِدُونَ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَطَرِيقِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لَكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ) يَقُولُ : إِيْمَانُكُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجَهَادُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ تَضْيِيعِ ذَلِكَ وَالتَّفْرِيطِ (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) مَضَارَّ الْأَشْيَاءِ وَمَنَافِعَهَا . وَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ : ءَامِنُوا بِاللَّهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَمْرِ .

وَبَيَّنَتِ التِّجَارَةُ مِنْ قَوْلِهِ : (هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ) . وَفُسِّرَتْ بِقَوْلِهِ : (تُؤْمِنُونَ) . وَلَمْ يَقُلْ : أَنْ تُؤْمِنُوا ، لِأَنَّ الْعَرَبَ إِذَا فَسَّرَتِ الْإِسْمَ بِفِعْلٍ ثُبِتَ فِي تَفْسِيرِهِ أَنْ أَحْيَانًا ، وَتَطَرُّحَهَا أَحْيَانًا ، فَتَقُولُ لِلرَّجُلِ : هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ تَقُومُ بِنَا إِلَىٰ فُلَانٍ فَنَعُودُهُ ؟ هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ أَنْ تَقُومَ إِلَىٰ فُلَانٍ فَنَعُودُهُ ؟ بَأَنْ وَبَطَرَحِهَا . وَمِمَّا جَاءَ فِي الْوُجْهِينَ عَلَى الْوُجْهِينَ جَمِيعًا قَوْلُهُ : (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ أَنَا) . وَ (إِنَّا) ؛ فَالْفَتْحُ فِي أَنَا لُغَةٌ مِنْ أَدْخَلَ فِي يَتَقَوْمُ أَنْ مِنْ قَوْلِهِمْ : هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ أَنْ تَقُومَ ، وَالْكَسْرُ فِيهَا لُغَةٌ مِنْ يُلْقَى أَنْ مِنْ تَقَوْمَ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ : (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ) وَإِنَّا دَمَرْنَاهُمْ ، عَلَى مَا بَيَّنَّا .

عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ) . الْآيَةُ . فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ بَيَّنَّهَا ، وَدَلَّ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنِينَ ، لَتَلَهَّفَ عَلَيْهَا رِجَالٌ أَنْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَهَا ، حَتَّى يَضُنُّوا بِهَا وَقَدْ ذَلَّكُمْ اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَأَعْلَمَكُمْ إِيَّاهَا فَقَالَ : (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

عَنْ مَعْمَرٍ ، قَالَ : تَلَا قَتَادَةُ : (هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَيَّنَّهَا .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : (يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : يَسْتُرُ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ ذُنُوبَكُمْ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَيَصْنَعُ عَنْكُمْ وَيَغْفُو (وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) . يَقُولُ : وَيُدْخِلْكُمْ بَسَاتِينَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ (وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً) . يَقُولُ : وَيُدْخِلْكُمْ أَيْضًا مَسَاكِنَ طَيِّبَةً . (فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ) يَعْنِي فِي بَسَاتِينَ إِقَامَةٍ ، لَا ظَنَنْ عَنْهَا .

وَقَوْلُهُ : (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) يَقُولُ : ذَلِكَ النَّجَاءُ الْعَظِيمُ مِنْ نَكَالِ الْآخِرَةِ وَأَهْوَالِهَا .

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / ٨٦٠) :

هذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين ، لأعظم تجارة ، وأجل مطلوب ، وأعلى مرغوب ، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم ، والفوز بالنعيم المقيم .

وأتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر ، ويسمو إليه كل لبيب ، فكأنه قيل : ما هذه التجارة التي هذا قدرها ؟ فقال : (تَوُمُّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) .

ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به ، المستلزم لأعمال الجوارح ، ومن أجل أعمال الجوارح ، الجهاد في سبيل الله ، فلهذا قال : (وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) بأن تبذلوا نفوسكم ومهجكم ، لمصادمة أعداء الإسلام ، والقصد نصر دين الله وإعلاء كلمته ، وتنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب ، فإن ذلك ، ولو كان كريهاً للنفوس شاقاً عليها ، فإنه (خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) فإن فيه الخير الدنيوي ، من النصر على الأعداء ، والعز المنافي للذل والرزق الواسع ، وسعة الصدر وانشراحه . وفي الآخرة الفوز بثواب الله والنجاة من عقابه ، ولهذا ذكر الجزاء في الآخرة ، فقال : (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) وهذا شامل للصغائر والكبائر ، فإن الإيمان بالله والجهاد في سبيله ، مكفر للذنوب ، ولو كانت كبائر .

(وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أي : من تحت مساكنها (وقصورها) وغرفها وأشجارها ، أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ، (وَمَسَاكِينٌ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ) أي : جمعت كل طيب ، من علو وارتفاع ، وحسن بناء وزخرفة ، حتى إن أهل الغرف من أهل عليين ، يتراءاهم أهل الجنة كما يتراءى الكوكب الدري في الأفق الشرقي أو الغربي ، وحتى إن بناء الجنة بعضه من لبن ذهب وبعضه من لبن فضة ، وخيامها من اللؤلؤ والمرجان ، وبعض المنازل من الزمرد والجواهر الملونة بأحسن الألوان ، حتى إنها من صفائها يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، وفيها من الطيب والحسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين ، ولا خطر على قلب أحد من العالمين ، لا يمكن أن يدركوه حتى يروه ، ويتمتعوا بحسنه وتقر أعينهم به ، ففي تلك الحالة ، لولا أن الله خلق أهل الجنة ، وأنشأهم نشأة كاملة لا تقبل العدم ، لأوشك أن يموتوا من الفرح ، فسبحان من لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يشي عليه عباده وتبارك الجليل الجميل ، الذي أنشأ دار النعيم ، وجعل فيها من الجلال والجمال ما يبهر عقول الخلق ويأخذ بأفئدتهم . وتعالى من له الحكمة النامة ، التي من جملتها ، أنه الله لو أرى الخلائق الجنة حين خلقها ونظروا إلى ما فيها من النعيم لما تخلف عنها أحد ، ولما هناهم العيش في هذه الدار المنغصة ، المشوب نعيمها بألمها ، وسرورها بترحها .

وسميت الجنة جنة عدن ، لأن أهلها مقيمون فيها ، لا يخرجون منها أبداً ، ولا يبغون عنها حولا ذلك الثواب الجزيل ، والأجر الجميل ، الفوز العظيم ، الذي لا فوز مثله ، فهذا الثواب الأخروي .

وأما الثواب الديني لهذه التجارة ، فذكره بقوله : (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا) أي : ويحصل لكم خصلة أخرى تحبونها وهي : (نَصَرْنَا مِنَ اللَّهِ) لكم على الأعداء ، يحصل به العز والفرح ، (وَفَتَحَ قَرِيبٌ) تتسع به دائرة الإسلام ، ويحصل به الرزق الواسع ، فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين ، وأما المؤمنون من غير أهل الجهاد ، إذا قام غيرهم بالجهاد فلم يؤيسهم الله تعالى من فضله وإحسانه ، بل قال : (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) أي : بالثواب العاجل والآجل ، كل على حسب إيمانه ، وإن كانوا لا يبلغون مبلغ المجاهدين في سبيل الله ، كما قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ " . (خ / ٢٧٠٩) .

قال الشنقيطي في أضواء البيان (8 / 112) :

فُسِّرَتِ التَّجَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الصف / ١١) .

التَّجَارَةُ : هِيَ التَّصَرُّفُ فِي رَأْسِ الْمَالِ طَلَبًا لِلرَّيْحِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ) (البقرة / ٢٨٢) وَقَالَ تَعَالَى : (وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا) (التوبة / ٢٤) .

والتَّجَارَةُ هُنَا فُسِّرَتْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَبَذْلِ الْمَالِ وَالنَّفْسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَمَا هِيَ الْمُعَارَضَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي تِلْكَ التَّجَارَةِ الْهَامَّةِ ، بَيْنَهَا تَعَالَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة / ١١١) ، فَهَذَا مُبَايَعَةٌ ، وَهَذَا بُشْرَى وَهَذَا فَوْزٌ عَظِيمٌ .

وَكَذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصَرْنَا مِنَ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبٌ) (الصف / ١٢ - ١٣) .

وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى أَنَّهُ مَنْ فَاتَتْهُ هَذِهِ الصَّفَقَةُ الرَّابِحَةُ فَهُوَ لَا مَحَالَةَ خَاسِرٌ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) (البقرة / ١٦) .

حَقِيقَةُ هَذِهِ التَّجَارَةِ أَنَّ رَأْسَ مَالِ الْإِنْسَانِ حَيَاتُهُ وَمُنْتَهَاهُ مَمَاتُهُ .

وَقَدْ قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا " (م / ٥٥٦) وَالْعَرَبُ تَعْرِفُ هَذَا الْبَيْعَ فِي الْمُبَادَلَةِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَإِنْ تَزْعُمِينِي كُنْتُ أَجْهَلُ فِيكُمْ ... فَإِنِّي شَرِيتُ الْحِلْمَ بِعَدَاكَ بِالْجَهْلِ

فَاطْلُقِ الشَّرَاءَ عَلَى الْإِسْتِبْدَالِ .

تَنْبِيْهٌ : فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَفْدِيْمُ الْجِهَادِ بِالْمَالِ عَلَى الْجِهَادِ بِالنَّفْسِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) .

وفي آية : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ، قَدَّمَ النَّفْسَ عَنِ الْمَالِ فَقَالَ : (اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) ، وفي ذَلِكَ سِرٌّ لَطِيفٌ .

أَمَّا فِي آيَةِ (الصَّفِّ) فَإِنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ تَفْسِيرٍ وَبَيَانٍ لِمَعْنَى التَّجَارَةِ الرَّابِحَةِ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَحَقِيقَةُ الْجِهَادِ بَذْلُ الْجُهِدِ وَالطَّاقَةِ ، وَالْمَالُ هُوَ عَصَبُ الْحَرْبِ وَهُوَ مَدَدُ الْجَيْشِ ، وَهُوَ أَهَمُّ مِنَ الْجِهَادِ بِالسَّلَاحِ ، فَبِالْمَالِ يُشْتَرَى السَّلَاحُ ، وَقَدْ تُسْتَأْجَرُ الرِّجَالُ كَمَا فِي الْجُيُوشِ الْحَدِيثَةِ مِنَ الْفِرَقِ الْأَجْنِبِيَّةِ ، وَبِالْمَالِ يُجَهَّزُ الْجَيْشُ ، وَلِذَا لَمَّا جَاءَ الْإِذْنُ بِالْجِهَادِ أَعَذَرَ اللَّهُ الْمَرْضَى وَالضُّعْفَاءَ ، وَأَعَذَرَ مَعَهُمُ الْفُقَرَاءَ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ تَجْهِيزَ أَنْفُسِهِمْ ، وَأَعَذَرَ مَعَهُمُ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ لَمْ يُوَجَدْ عِنْدَهُ مَا يُجَهِّزُهُمْ بِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى) ، إِلَى قَوْلِهِ : (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) (التوبة / ٩١ - ٩٢) . وَكَذَلِكَ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، قَدْ يُجَاهِدُ بِالْمَالِ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ بِالسَّلَاحِ كَالنِّسَاءِ وَالضُّعْفَاءِ ، كَمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَنْ جَهَّزَ غَارِيًّا فَقَدْ غَزَا " (م / ٥٠١٢) .

أَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَّةُ فِيهِ فِي مَعْرِضِ الْإِسْتِبْدَالِ وَالْعَرْضِ وَالطَّلَبِ أَوْ مَا يُسَمَّى بِالمُسَاوَمَةِ ، فَقَدَّمَ النَّفْسَ ؛ لِأَنَّهَا أَعَزُّ مَا يَمْلِكُ الْحَيُّ ، وَجَعَلَ فِي مُقَابِلِهَا الْجَنَّةَ وَهِيَ أَعَزُّ مَا يُوهَبُ ، وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ :

أَتَأْمِنُ بِالنَّفْسِ النَّفِيسَةِ رَبِّهَا ... وَلَيْسَ لَهَا فِي الْخَلْقِ كُلِّهِمْ ثَمَنٌ

بِهَا تُمْلِكُ الْأُخْرَى فَإِنَّا بَعَثْنَا ... بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا فَذَاكَ هُوَ الْعَبْنُ

لِنَنْ دَهَبَتْ نَفْسِي بِدُنْيَا أُصِيبَهَا ... لَقَدْ دَهَبَتْ نَفْسِي وَقَدْ ذَهَبَ الثَّمَنُ

فَالْتَّجَارَةُ هُنَا مُعَامَلَةٌ مَعَ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَجَهَادًا بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، كَمَا قِيلَ أَيْضًا :

فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا ... فَإِنَّمَا الرِّيحُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ

وفي آية : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى) تَقْدِيمُ بُشْرَى خَفِيَّةٍ لَطِيفَةٍ لِنَصْرِ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهِيَ تَقْدِيمُ قَوْلِهِ :

فَيَقْتُلُونَ بِالْبَنَاءِ لِلْفَاعِلِ أَيْ فَيَقْتُلُونَ عَدُوَّهُمْ ، وَيُقْتَلُونَ بِالْبَنَاءِ لِلْمَجْهُولِ ، لِأَنَّ التَّقْدِيمَ هُنَا يُشْعِرُ بِأَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ

الْعَدُوَّ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَهُمْ وَيُصِيبُونَ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يُصِيبَ مِنْهُمْ ، وَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ فِي مَوْقِفِ الْقُوَّةِ وَالنَّصْرِ ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ

اللَّهِ تَعَالَى .

قال فاضل صالح السامرائي في كتابه : لمسات بيانية لسور القرآن الكريم (١ / ١٦) :

قال تَعَالَى : (تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ، ثم ذكر يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات ،

طلب منهم الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات .

وقال تعالى في آية أخرى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي

بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) (التوبة) في الآية الأولى قال تؤمنون بالله ، يعني طلب منهم الإيمان

بالله والاستمرار عليه وهنا قال : (اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) فوصفهم بالإيمان . هناك طلب منهم أن يجاهدوا في

سبيل الله (تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) عندهم الأموال والأنفس يجاهدون فيها لكن في الثانية باع واشترى ولم يبق عندهم مال ولا أنفس (فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمْ) . هناك جهاد وهنا يقاتلون والجهاد ليس بالضرورة من القتال فالدعوة جهاد (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)) (الفرقان) أما القتال حرب (فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) وهذا أقوى الجهاد . أي تضحية أكبر من أن يدفع الواحد نفسه فلا يبقى عنده مال ولا نفس؟ هذه أكبر ولذلك في الآية الأولى قال (وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ) لما أدخلهم جنات هل بالضرورة أنها صارت ملكهم ؟ في الثانية قال (بأن لهم الجنة) كأنهم اشتروا الجنة فصارت تملكها لهم كأن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بالجنة ، هذا تملك أما في الآية الأولى فليس فيها تملك فالإدخال ليس بالضرورة أن يكون تملكاً ، الثانية بيع وشراء هذا هو الفوز الأعظم ولذلك قال فيها (وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال / ٢ - ٤) .

(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال / ٧٤) .

أ - وجل القلب من ذكر الله تعالى . ب - ازدياد الإيمان بسماع القرآن .

ج - التوكل على الله . د - إقامة الصلاة . ه - الإنفاق في سبيل الله .

فهذه الصفات الخمس من اتصف بها مجتمعة كان مؤمناً حقاً كما نصَّ الله على ذلك في كتابه بقوله : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال / ٢ - ٤) .

مع أنَّ القرآن نصَّ على مغفرة الله لمن اتصف ببعضها كالإنفاق في سبيل الله فقد قال الله فيه : (إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (التغابن / ١٧) .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (١١ / ٣٢) :

وَقَوْلُهُ : (وَمَغْفِرَةٌ) يَقُولُ : وَعَفْوٌ عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَتَعْطِيَةٌ عَلَيْهَا . (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) قِيلَ : الْجَنَّةُ . وَهُوَ عِنْدِي : مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ لَهُمْ مِنْ مَزِيدِ الْمَاكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَهَنِيِّ الْعَيْشِ . عَنْ قَتَادَةَ : (وَمَغْفِرَةٌ) قَالَ : لِدُنُوبِهِمْ . (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) قَالَ : الْجَنَّةُ .

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / ٣١٥) :

قوله : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله ، كما أن من لم يطع الله ورسوله فليس بمؤمن .

ومن نقصت طاعته لله ورسوله ، فذلك لنقص إيمانه ، ولما كان الإيمان قسامين : إيماناً كاملاً يترتب عليه المدح والثناء ، والفوز التام ، وإيماناً دون ذلك ، ذكر الإيمان الكامل فقال : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) الألف واللام للاستغراق لشرائع الإيمان .

(الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) أي : خافت ورهبت ، فأوجب لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم ، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب .

(وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم ، لأن التدبر من أعمال القلوب ، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلون ، أو يتذكرون ما كانوا

نسوه ، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير ، واشتياقاً إلى كرامة ربهم ، أو وجلاً من العقوبات ، وازدجاراً عن المعاصي ، وكل هذا مما يزداد به الإيمان .

(وَعَلَى رَبِّهِمْ) وحده لا شريك له (يَتَوَكَّلُونَ) أي : يعتمدون في قلوبهم على ربهم في جلب مصالحهم ودفع مضارهم الدينية والدنيوية ، ويثقون بأن الله تعالى سيفعل ذلك .

والتوكل هو الحامل للأعمال كلها ، فلا توجد ولا تكمل إلا به .

(الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) من فرائض ونوافل ، بأعمالها الظاهرة والباطنة ، كحضور القلب فيها ، الذي هو روح

الصلاة ولبها ، (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) النفقات الواجبة ، كالزكوات ، والكفارات ، والنفقة على الزوجات

والأقارب ، وما ملكت أيماهم ، والمستحبة كالصدقة في جميع طرق الخير .

(أُولَئِكَ) الذين اتصفوا بتلك الصفات (هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان ، بين الأعمال

الباطنة والأعمال الظاهرة ، بين العلم والعمل ، بين أداء حقوق الله وحقوق عباده . وقدم تعالى أعمال القلوب ،

لأنها أصل لأعمال الجوارح وأفضل منها ، . وفيها دليل على أن الإيمان ، يزيد وينقص ، فيزيد بفعل الطاعة

وينقص بضدها . وأنه ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينميهِ ، وأن أولى ما يحصل به ذلك تدبر كتاب الله تعالى

والتأمل لمعانيه . ثم ذكر ثواب المؤمنين حقاً فقال : (لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أي : عالية بحسب علو أعمالهم

(وَمَغْفِرَةٌ) لذنوبهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) وهو ما أعد الله لهم في دار كرامته، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ،

ولا خطر على قلب بشر .

ودل هذا على أن من يصل إلى درجتهم في الإيمان - وإن دخل الجنة - فلن ينال ما نالوا من كرامة الله التامة .

قال فاضل صالح السامرائي في كتابه : لمسات بيانية لسور القرآن الكريم (١ / ٨) :

نلاحظ أن الآيات في بداية السورة وصفت المؤمنين (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا

تَلَايَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ

الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (٢-٤) وفي ختام السورة جاء وصف المؤمنين أيضاً

(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

كَرِيمٌ) (٧٤) ، لكن هناك بين فرق بين الصفات في الآيتين وهذا الفرق هو إثبات لقانوني النصر في السورة ،

فصفات المؤمنين في الآية (٤) هي صفات إيمانية يتحلى بها المؤمنون الذين يثقون بالله وبقدرته وبأن النصر

من عنده وجاءت في القسم الأول (القوانين الربانية) . أما الآية (٧٤) فأعطت صفات المؤمنين المناسبة

للأمور المادية والقوانين المادية وجاءت في القسم الثاني للسورة (القوانين المادية) وهكذا مثلت صفات

المؤمنين في السورة التوازن بين قوانين النصر الربانية والمادية . وجاءت في سورة الأنفال نداءات إلهية للمؤمنين

ست مرات بوصف الإيمان (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) كحافز لهم على الصبر والثبات في مجاهدتهم لأعداء الله

وتذكير لهم بأن هذه التكاليف التي أمروا بها من مقتضيات الإيمان الذي تحلوا به وأن النصر الذي حازوا عليه

كان بسبب الإيمان .

الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَءَامَنُوا بِرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الحديد / ٢٨) .

قال ابن كثير في تفسيره (٨ / ٣١) :

في رواية النسائي عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أنه حمل هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب ، وأنهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص (٧) وكما في حديث الشعبي عن أبي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ فَلَهُ أَجْرَانِ وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أُمَةٌ فَعَدَّاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا ثُمَّ أَدَبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ " . (خ / ٣٠١١ ، م و اللفظ له / ٤٠٤) .

ووافق ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - على هذا التفسير الضحاك ، وعتبة بن أبي حكيم ، وغيرهما ، وهو اختيار ابن جرير .

وقال سعيد بن جبیر : لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله هذه الآية في حق هذه الأمة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) أي : ضعفين ، وزادهم : (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) يعني : هدى يُتَبَصَّرُ به من العمى والجهالة ، ويغفر لكم . فضلهم بالنور والمغفرة . ورواه ابن جرير عنه .

وهذه الآية كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الأنفال : ٢٩) .

وقال سعيد بن عبد العزيز : سأل عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَبْرًا من أحبار يهود : كم أفضل ما ضعفت لكم حسنة ؟ قال : كفل ثلاثمائة وخمسون حسنة . قال : فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين . (ثم) ذكر سعيد قول الله - عز وجل - : (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال سعيد : والكفلان في الجمعة مثل ذلك . رواه ابن جرير .

ومما يؤيد هذا القول حديث ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عَمَلًا فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيَرَاتٍ قِيَرَاتٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ عَلَى قِيَرَاتٍ قِيَرَاتٍ ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيَرَاتٍ قِيَرَاتٍ ثُمَّ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيَرَاتَيْنِ قِيَرَاتَيْنِ فَعَصَبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلُ عَطَاءً قَالَ هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا ؟ قَالُوا : لَا فَقَالَ فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءَ " (خ / ٢٢٦٩) .

عَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا إِلَى اللَّيْلِ فَعَمِلُوا إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ

فَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ فَقَالَ أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ وَلَكُمْ الَّذِي شَرَطْتُ فَعْمَلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ قَالُوا لَكَ مَا عَمَلْنَا فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا فَعْمَلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ وَاسْتَكْمَلُوا أَجَرَ الْفَرِيقَيْنِ " (خ / ٥٥٨) .

قال الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين في تفسيره (١٥ / ٥٤) :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) ، المراد بهم هذه الأمة ، فيكون قوله : (اتقوا الله وءامنوا برسوله) يعني اثبتوا على الإيمان ، ولا تبدلوا الإيمان ، لأن الإيمان قد حصل ، حيث قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) ، فيكون المعنى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) بقلوبكم (اتقوا الله) بجوارحكم (وءامنوا برسوله) أي : حققوا الإيمان واثبتوا عليه ، وليس كل من آمن يكون مؤمناً حقاً ، وهذا هو ما يعنيه العلماء بقولهم ، هذا نفي كمال الإيمان مثل قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " (خ / ١٣) ، ليس المراد نفي مطلق الإيمان ، بل نفي الإيمان المطلق الكامل ، وقد زعم بعض المفسرين أن هذه الآية في أهل الكتاب ، لأنه قال : (وءامنوا برسوله) ، ولكن هذا قول ضعيف جداً ، ولا يمكن أن ينادي الله - عز وجل - أهل الكتاب وهم كفرة بوصف الإيمان أبداً ، لا يمكن أن يكون المراد بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) يا أيها اليهود والنصارى ، لأنهم حين نزول القرآن إذا بقوا على يهوديتهم ونصرانيتهم ليسوا بمؤمنين ، والمراد برسوله هنا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، والإيمان بالرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يتضمن الإيمان بجميع الرسل ، كما قال - عز وجل - : (ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل ءامن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) يعني في الإيمان به ، لا في الاتباع ، ففي الاتباع نفرق بين الرسل ، فتبع منهم محمداً - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، لكن الإيمان كلهم على حد سواء ، نؤمن بأنهم رسل الله حقاً ، (يؤتكم كفلين من رحمته) أي : نصيبين من رحمة الله ، ولهذا مثل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، هذه الأمة بالنسبة لما قبلها كرجل استأجر أجراً ، فقال : " إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عَمَلاً فَقَالَ مَنْ يَعْمَلْ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ ثُمَّ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِرَاطَيْنِ قِرَاطَيْنِ فَعَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلاً وَأَقْلُ عَطَاءً قَالَ هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئاً ؟ قَالُوا : لَا فَقَالَ فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءَ " (خ / ٢٢٦٩) ، فالحمد لله هذه الأمة لها مثل أجر الأمم السابقة مرتين ، (ويجعل لكم نوراً تمشون به) ، أي : أنكم إذا آمنتم وحققتم الإيمان مع التقوى يشبكم ثوابين (ويجعل لكم نوراً تمشون به) أي : علماً تسيرون به إلى الله - عز وجل - على بصيرة ، وفي هذا دليل على أن التقوى من أسباب حصول العلم ، وما أكثر الذين ينشدون العلم ، وينشدون الحفظ ، ويطلبون الفهم ، فنقول : إن تحصيله يسير ، وذلك بتقوى الله - عز وجل - وتحقيق الإيمان ، الذي هو موجب العلم ، فاعمل بما علمت يحصل لك علم ما لم تعلم ، فتقوى الله - عز وجل - من أسباب زيادة العلم ولا شك ، ولهذا قال : (ويجعل لكم نوراً تمشون به) أي : تسيرون به ، أي : بسببه سيراً صحيحاً يوصلكم إلى الله - عز وجل - (ويغفر لكم) أي : يسترها عليكم ، ويعفو عنكم ، فلا عقاب ولا فضيحة (والله غفور رحيم) أي : ذو مغفرة ورحمة ، كما قال الله - عز وجل - :

(وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) وقال - عز وجل - : (وربك الغفور ذو الرحمة) فالغفور يعني ذا المغفرة ، والرحيم يعني ذي الرحمة ، وذلك أن الإنسان محتاج إلى مغفرة ذنوب وقعت منه ، وإلى رحمة تسدده ويتجنب بها المعاصي ، ويهتدي إلى التوبة إن عصى .

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ وَقَالُوا قَوْلًا سَدِيدًا

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (٧١) الأحزاب

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (19 / 195) :

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، اتَّقُوا اللَّهَ أَنْ تَعْصُوهُ ، فَتَسْتَحِقُّوا بِذَلِكَ عُقُوبَتَهُ .
وَقَوْلُهُ : (وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) يَقُولُ : قُولُوا فِي رَسُولِ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ قَوْلًا قَاصِدًا غَيْرَ جَائِزٍ ، حَقًّا غَيْرَ بَاطِلٍ .
عَنْ مُجَاهِدٍ (وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) يَقُولُ : سِدَادًا .
عَنِ الْكَلْبِيِّ (وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) قَالَ : صِدْقًا .
عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : (اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) أَيُّ عَذْلًا ، قَالَ قَتَادَةُ : يَعْنِي بِهِ فِي مَنْطِقِهِ وَفِي عَمَلِهِ كُلِّهِ ،
وَالسَّدِيدُ : الصَّدَقُ .

عَنْ عِكْرِمَةَ ، فِي قَوْلِ اللَّهِ : (وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .
وَقَوْلُهُ : (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ : اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا السَّدَادَ مِنَ الْقَوْلِ يُوفِّقْكُمْ لِصَالِحِ
الْأَعْمَالِ ، فَيُصْلِحْ أَعْمَالَكُمْ (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) يَقُولُ : وَيَغْفِرْ لَكُمْ عَنْ ذُنُوبِكُمْ ، فَلَا يُعَاقِبْكُمْ عَلَيْهَا (وَمَنْ
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فَيَعْمَلْ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ ، وَيَنْتَهِي عَمَّا نَهَاهُ ، وَيَقِلَّ السَّدِيدَ (فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) يَقُولُ : فَقَدْ
ظَفَرَ بِالْكَرَامَةِ الْعُظْمَى مِنَ اللَّهِ .

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / 673) :

يَأْمُرُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ ، فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ ، فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَيَخْصُ مِنْهَا ، وَيَنْدُبُ لِلْقَوْلِ السَّدِيدِ ،
وهو القول الموافق للصواب ، أو المقارب له ، عند تعذر اليقين ، من قراءة ، وذكر ، وأمر بمعروف ، ونهي عن
منكر ، وتعلم علم وتعليمه ، والحرص على إصابة الصواب ، في المسائل العلمية ، وسلوك كل طريق يوصل
لذلك ، وكل وسيلة تعين عليه . ومن القول السديد ، لين الكلام ولطفه ، في مخاطبة الأنام ، والقول المتضمن
لنصح والإشارة ، بما هو الأصلح . ثم ذكر ما يترتب على تقواه ، وقول القول السديد فقال : (يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ) أي : يكون ذلك سبباً لصلاحها ، وطريقاً لقبولها ، لأن استعمال التقوى ، تتقبل به الأعمال كما قال
تعالى : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) ويوفق فيه الإنسان للعمل الصالح ، ويصلح الله الأعمال (أَيْضًا)
بحفظها عما يفسدها ، وحفظ ثوابها ومضاعفته ، كما أن الإخلال بالتقوى ، والقول السديد سبب لفساد
الأعمال ، وعدم قبولها ، وعدم تَرْتُّبِ آثارها عليها .

(وَيَغْفِرْ لَكُمْ) أَيْضًا (ذُنُوبَكُمْ) التي هي السبب في هلاككم ، فالتقوى تستقيم بها الأمور ، ويندفع بها كل
محدور ولهذا قال : (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) .

الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الأنفال / ٢٩) .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (11 / 127) :

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ (إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ) بِطَاعَتِهِ ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ ، وَتَرْكِ خِيَانَتِهِ ، خِيَانَةِ رَسُولِهِ وَخِيَانَةِ أَمَانَتِكُمْ (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) يَقُولُ : يَجْعَلْ لَكُمْ فَصْلًا وَفَرْقًا بَيْنَ حَقِّكُمْ وَبَاطِلٍ مَنْ يَبْغِيكُمْ السُّوءَ مِنْ أَعْدَائِكُمُ الْمُشْرِكِينَ بِنَصْرِهِ إِيَّاكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَإِعْطَائِكُمُ الظَّفَرَ بِهِمْ . (وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) يَقُولُ : وَيَمْحُو عَنْكُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ . (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) يَقُولُ : وَيُعْطِيهَا ، فَيَسْتُرُهَا عَلَيْكُمْ ، فَلَا يُؤَاخِذُكُمْ بِهَا .

(وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) يَقُولُ : وَاللَّهُ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ بِكُمْ ، لَهُ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى غَيْرِكُمْ مِنْ خَلْقِهِ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ وَفِعْلِ أَمثَالِهِ ، وَإِنَّ فَعْلَهُ جَزَاءٌ مِنْهُ لِعَبْدِهِ عَلَى طَاعَتِهِ إِثَّاهُ ؛ لِأَنَّهُ الْمُؤَفَّقُ عَبْدُهُ لِمَطَاعَتِهِ الَّتِي اكْتَسَبَهَا حَتَّى اسْتَحَقَّ مِنْ رَبِّهِ الْجَزَاءَ الَّذِي وَعَدَهُ عَلَيْهَا .

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / 319) :

امتثال العبد لتقوى ربه عنوان السعادة ، وعلامة الفلاح ، وقد رتب الله على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئاً كثيراً ، فذكر هنا أن من اتقى الله حصل له أربعة أشياء ، كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها :
الأول : الفرقان : وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال ، والحق والباطل ، والحلال والحرام ، وأهل السعادة من أهل الشقاوة .

الثاني والثالث : تكفير السيئات ، ومغفرة الذنوب ، وكل واحد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق وعند الاجتماع يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر ، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر .

الرابع : الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن اتقاه وآثر رضاه على هوى نفسه . (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) .

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كَافِرًا (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّاهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا (١٠) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (هود / ٩ - ١١) .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢ / ٣٤٠) :

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَلَئِنْ نَحْنُ بَسَطْنَا لِلْإِنْسَانِ فِي دُنْيَاهُ ، وَرَزَقْنَاهُ رِخَاءً فِي عَيْشِهِ ، وَوَسَّعْنَا عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ ؛ وَذَلِكَ هِيَ النِّعْمُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ) وَقَوْلُهُ : (بَعْدَ ضَرَاءٍ) يَقُولُ : بَعْدَ ضَيْقٍ مِنَ الْعَيْشِ كَانَ فِيهِ ، وَعُسْرَةٍ كَانَ يُعَالِجُهَا . (لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : لَيَقُولَنَّ عِنْدَ ذَلِكَ : ذَهَبَ الضَّيْقُ وَالْعُسْرَةُ عَنِّي ، وَزَالَتِ الشَّدَائِدُ وَالْمَكَارُهُ .

(إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا) يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفَرِحَ بِالنِّعَمِ الَّتِي يُعْطَاهَا مَسْرُورًا بِهَا فَخُورًا ، يَقُولُ : ذُو فَخْرٍ بِمَا نَالَ مِنَ السَّعَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَمَا بُسِطَ لَهُ فِيهَا مِنَ الْعَيْشِ ، وَيَنْسَى صُرُوفَهَا وَنَكِدَ الْعَوَائِصِ فِيهَا ، وَيَدْعُ طَلَبَ النَّعِيمِ الَّذِي يَبْقَى وَالسُّرُورَ الَّذِي يَذُومُ فَلَا يَزُولُ .

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَوْلُهُ : (ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) غُرَّةٌ بِاللَّهِ وَجُرَاءَةٌ عَلَيْهِ .

(إِنَّهُ لَفَرِحَ) وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَرَحِينَ ، (فَخُورًا) بَعْدَ مَا أَعْطَى اللَّهُ ، وَهُوَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ .

ثُمَّ اسْتَنْتَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنَ الْإِنْسَانِ الَّذِي وَصَفَهُ بِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ (الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) . وَإِنَّمَا جَازَ

اسْتِثْنَاؤُهُمْ مِنْهُ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بِمَعْنَى الْجِنْسِ ، وَمَعْنَى الْجَمْعِ ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ : (وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسِرٍ إِلَّا

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فَقَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ : (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ، فَإِنَّهُمْ إِنْ تَأْتِيَهُمْ

شِدَّةٌ مِنَ الدُّنْيَا وَعُسْرَةٌ فِيهَا لَمْ يُشْهِمُوا ذَلِكَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، وَلَكِنَّهُمْ صَبَرُوا لِأَمْرِهِ وَقَضَائِهِ ، فَإِنْ نَالُوا فِيهَا رِخَاءً

وَسَعَةً شَكَرُوهُ وَأَدُّوا حَقُّوقَهُ بِمَا آتَاهُمْ مِنْهَا . يَقُولُ اللَّهُ : (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يَغْفِرُهَا لَهُمْ ، وَلَا يَفْضَحُهُمْ بِهَا فِي

مَعَادِهِمْ . (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) يَقُولُ : وَلَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَعَ مَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِمْ ثَوَابٌ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي

دَارِ الدُّنْيَا جَزِيلٌ ، وَجَزَاءٌ عَظِيمٌ .

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ : (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) عِنْدَ الْبَلَاءِ (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) عِنْدَ النِّعْمَةِ ، (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) لِذُنُوبِهِمْ ،

(وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) . قَالَ : الْجَنَّةُ .

الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ
اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ

(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ
وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الأحزاب / ٣٥) .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩ / ١٠٩) :

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : إِنَّ الْمُتَذَلِّلِينَ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ وَالْمُتَذَلَّلَاتِ ، وَالْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ لِلَّهِ ، وَالْمُطِيعِينَ لِلَّهِ وَالْمُطِيعَاتِ لَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ
وَنَهَاهُمْ ، وَالصَّادِقِينَ لِلَّهِ فِيمَا عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ وَالصَّادِقَاتِ فِيهِ ، وَالصَّابِرِينَ لِلَّهِ فِي الْبُؤْسَاءِ وَالضَّرَائِ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى
دِينِهِ ، وَحِينَ الْبُؤْسِ وَالصَّابِرَاتِ ، وَالْخَاشِعَةَ قُلُوبُهُمْ لِلَّهِ وَجَلًّا مِنْهُ وَمِنْ عِقَابِهِ وَالْخَاشِعَاتِ ، وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ ، وَهُمْ الْمُؤَدُّونَ حُقُوقَ اللَّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَالْمُؤَدِّيَاتِ ، وَالصَّائِمِينَ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ
صَوْمَهُ عَلَيْهِمْ وَالصَّائِمَاتِ ، الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ، وَالْحَافِظَاتِ ذَلِكَ إِلَّا
عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ إِنْ كُنَّ حَرَائِرَ ، أَوْ مَنْ مَلَكَهِنَّ إِنْ كُنَّ إِمَاءً ، وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ بِقُلُوبِهِمْ وَالسَّائِمِينَ وَجَوَارِحِهِمْ وَالذَّاكِرَاتِ
، كَذَلِكَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً لِدُنُوبِهِمْ ، وَأَجْرًا عَظِيمًا : يَعْنِي ثَوَابًا فِي الْآخِرَةِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ عَظِيمًا ،
وَذَلِكَ الْجَنَّةُ .

ذِكْرٌ مَنْ قَالَ ذَلِكَ :

عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : دَخَلَ نِسَاءٌ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَقُلْنَ : قَدْ ذَكَرَكُنَّ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ،
وَلَمْ نَذْكُرْ بِشَيْءٍ ، أَمَا فِينَا مَا يَذْكُرُ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ) أَيِ الْمُطِيعِينَ وَالْمُطِيعَاتِ (وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ) أَيِ الْخَائِفِينَ وَالْخَائِفَاتِ
(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً) لِدُنُوبِهِمْ (وَأَجْرًا عَظِيمًا) فِي الْجَنَّةِ .

قال ابن كثير في تفسيره (٦ / ٤١٦) :

قوله : (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) دليل على أن الإيمان غير الإسلام ، وهو أخص منه ،
لقوله تعالى : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)
(الحجرات / ١٤) . وفي الصحيحين : " لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ " (خ / ٢٤٧٥ ، م / ٢١٧)
فيسلبه الإيمان ، ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين .

وقوله : (وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ) القنوت : هو الطاعة في سكون ، (أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ) (الزمر / ٩) ، وقال تعالى : (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) (الروم / ٢٦) ، (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) (آل عمران / ٤٣) ، (وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) (البقرة / ٢٣٨) . فالإسلام بعده مرتبة يرتقي إليها ، ثم القنوت ناشئ عنهما .

(وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ) : هذا في الأقوال ، فإن الصدق خصلة محمودة ؛ ولهذا كان بعض الصحابة لم تُجَرَّب عليه كذبة لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، وهو علامة على الإيمان ، كما أن الكذب أمانة على النفاق ، ومن صدق نجا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا " (م / ٦٨٠٥) . والأحاديث فيه كثيرة جدًا .

(وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ) : هذه سَجِيَّةُ الأثبات ، وهي الصبر على المصائب ، والعلم بأن المقدور كائن لا محالة ، وتَلَقَّى ذلك بالصبر والثبات ، وإنما الصبر عند الصدمة الأولى ، أي : أصعبه في أول وهلة ، ثم ما بعده أسهل منه ، وهو صدق السجية وثباتها .

(وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ) الخشوع : السكون والطمأنينة ، والتؤدة والوقار والتواضع . والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته ، فقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما سئل عن الإحسان : " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ " (خ / ٥٠ ، م / ١٠٢) .

(وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ) : الصدقة : هي الإحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء ، الذين لا كَسْبَ لهم ولا كاسب ، يعطون من فضول الأموال طاعة لله ، وإحسانا إلى خلقه ، وقد ثبت في الصحيحين : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ " فذكر منهم : " وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ " (خ / ٦٦٠) وفي الحديث الآخر : " وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ " (صحيح الترمذي / ٦١٤) و " صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ " (صحيح) انظر حديث رقم : ٣٧٥٩ في صحيح الجامع .

و عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهَهُ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ " (خ / ٧٥١٢) .

و عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَاذَا يُنْجِي الْعَبْدَ مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : " الْإِيمَانُ بِاللَّهِ " فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَعَ الْإِيمَانِ عَمَلٌ ، قَالَ : " أَنْ تَرْضَخَ مِمَّا حَوْلَكَ اللَّهُ أَوْ تَرْضَخَ مِمَّا رَزَقَكَ اللَّهُ " (صحيح الترغيب / ٨٧٦) ؛ ولهذا لما خطب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم العيد قال في خطبته : " يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ " (خ / ٣٠٤) . وكأنه حثهن ورغبهن على ما

يفدين به أنفسهم من النار ، وقال عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : ذكر لي أن الأعمال تنبأه ، فتقول الصدقة : أنا أفضلكم .

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : " ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَثَلَ الْبَحِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جَبْتَانِ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى تُدْيِهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تَغْشَى أَنْامِلَهُ وَتَغْفُوَ أَثَرَهُ وَجَعَلَ الْبَحِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلَّ حَلْقَةٍ بِمَكَانِهَا " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا فِي جَنْبِهِ فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوسِّعُهَا ، وَلَا تَتَوَسَّعُ " (خ / ٥٧٩٧ ، ٢٤٠٧) . وقد قال تعالى : (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (التباين / ١٦) فجود الرجل يحببه إلى أصداده ، وبخله يبغضه إلى أولاده . كما قيل :

ويُظْهِرُ عَيْبَ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ بَخْلُهُ ... وتستره عنهم جميعا سخاؤه

تَغْطُ بِأَثْوَابِ السَّخَاءِ فَإِنِّي ... أَرَى كُلَّ عَيْبٍ وَالسَّخَاءِ غَطَاؤُهُ

والأحاديث في الحث عليها كثيرة جدًا .

(وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ) : قال سعيد بن جبير : من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر ، دخل في قوله : (وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ) .

ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة - كما قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ " (خ / ٥٠٦٥ ، م ٣٤٦٤) - ناسب أن يذكر بعده : (وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ) أي : عن المحارم والمآثم إلا عن المباح ، كما قال تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) (المؤمنون / ٥-٧) .

وقوله : (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا كَتَبْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ " (صحيح أبي داود / ١٤٥١) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ : " سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ " . قَالُوا وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : " الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ " (م / ٦٩٨٤) .

عَنْ مُعَاذٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ " (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٦٤٤ في صحيح الجامع ، و عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَرْكَاهَا عِنْدَ

مَلِكِكُمْ ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَذَابَكُمْ فَتَضَرُّوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : ذِكُرْ اللَّهُ تَعَالَى " (صحيح الترمذي / ٣٣٧٧) .

وقوله : (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) أي : هيا لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجرًا عظيمًا وهو الجنة .

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / 664) :

لما ذكر تعالى ثواب زوجات الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وعقابهن (لو قدر عدم الامتثال) وأنه ليس مثلهن أحد من النساء ، ذكر بقية النساء غيرهن .

ولما كان حكمهن والرجال واحدًا ، جعل الحكم مشتركًا ، فقال : (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) وهذا في الشرائع الظاهرة ، إذا كانوا قائمين بها . (وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) وهذا في الأمور الباطنة ، من عقائد القلب وأعماله .

(وَالْقَانِتِينَ) أي : المطيعين لله ولرسوله (وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ) في مقالهم وفعالهم (وَالصَّادِقَاتِ) (وَالصَّابِرِينَ) على الشدائد والمصائب (وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ) في جميع أحوالهم ، خصوصًا في عباداتهم ، خصوصًا في صلواتهم ، (وَالْخَاشِعَاتِ) (وَالْمُتَصَدِّقِينَ) فرضًا ونفلا (وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ) شمل ذلك ، الفرض والنفل . (وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ) عن الزنا ومقدماته ، (وَالْحَافِظَاتِ) (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا) أي : في أكثر الأوقات ، خصوصًا أوقات الأوراد المقيدة ، كالصباح والمساء ، وأدبار الصلوات المكتوبات (وَالذَّاكِرَاتِ) .

(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ) أي : لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة ، والمناقب الجليلة ، التي هي ، ما بين اعتقادات ، وأعمال قلوب ، وأعمال جوارح ، وأقوال لسان ، ونفع متعد وقاصر ، وما بين أفعال الخير ، وترك الشر ، الذي من قام بهن ، فقد قام بالدين كله ، ظاهره وباطنه ، بالإسلام والإيمان والإحسان . فجازاهم على عملهم " بِالْمَغْفِرَةِ " لذنوبهم ، لأن الحسنات يذهبن السيئات . (وَأَجْرًا عَظِيمًا) لا يقدر قدره ، إلا الذي أعطاه ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، نسأل الله أن يجعلنا منهم .

الأوابين

(رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا) (الإسراء / ٢٥) .
يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ (رَبُّكُمْ) أَيُّهَا النَّاسُ (أَعْلَمُ) مِنْكُمْ (بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) مَنْ تَعْظِيمِكُمْ أَمْرَ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ
وَتَكْرِمَتِهِمْ وَالْبِرَّ بِهِمْ ، وَمَا فِيهَا مِنْ اعتقادِ الاستخفافِ بِحُقُوقِهِمْ ، وَالْعُقُوقَ لَهُمْ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ ضَمَائِرِ صُدُورِكُمْ
، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَى حَسَنِ ذَلِكَ وَسَيِّئِهِ ، فَاحْذَرُوا أَنْ تُضْمِرُوا لَهُمْ سُوءًا ،
وَتَعْقُدُوا لَهُمْ عُقُوقًا .

وَقَوْلُهُ (إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ) يَقُولُ : إِنْ أَنْتُمْ أَصْلَحْتُمْ نِيَّاتِكُمْ فِيهِمْ ، وَأَطَعْتُمُ اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الْبِرِّ بِهِمْ ،
وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ عَلَيْكُمْ ، بَعْدَ هَفْوَةٍ كَانَتْ مِنْكُمْ ، أَوْ زَلَّةٍ فِي وَاجِبٍ لَهُمْ عَلَيْكُمْ مَعَ الْقِيَامِ بِمَا أَلَزَمَكُمْ فِي غَيْرِ
ذَلِكَ مِنْ فَرَائِضِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ بَعْدَ الزَّلَّةِ ، وَالتَّائِبِينَ بَعْدَ الْهَفْوَةِ غَفُورًا لَهُمْ .
قال ابن كثير في تفسيره (٦٧ / ٥) :

وقوله تعالى : (فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال قتادة : للمطيعين أهل الصلاة .

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : المسبحين . وفي رواية عنه : المطيعين المحسنين .

وقال بعضهم : هم الذين يصلون بين العشاءين . وقال بعضهم : هم الذين يصلون الضحى .

عن سعيد بن المسيب في قوله : (فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : الذي يصيب الذنب ثم يتوب ، ويصيب
الذنب ثم يتوب .

قال مجاهد ، وسعيد بن جبير : هم الراجعون إلى الخير .

وقال مجاهد عن عبيد بن عمير في قوله : (فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : هو الذي إذا ذكر ذنوبه في الخلاء
فيستغفر الله منها . ووافقه على ذلك مجاهد .

عن عبيد بن عمير ، في قوله : (فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : كنا نعد الأواب الحفيظ ، أن يقول : اللهم
اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا .

وقال ابن جرير : والأولى في ذلك قول من قال : هو التائب من الذنب ، الراجع عن المعصية إلى الطاعة ، مما
يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه .

وهذا الذي قاله هو الصواب ؛ لأن الأواب مشتق من الأوب وهو الرجوع ، يقال : آب فلان إذا رجع ، قال الله
تعالى : (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) (العاشية / ٢٥) ، وفي الحديث الصحيح ، أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
- كان إذا رجع من سفر قال : " آيُونُ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ " (خ / ٣٠٨٥) .

- و التوبة هي : رجوع العبد إلى الله والإنابة إليه ، ولها شروط ثلاثة وهي : الندم ، والإقلاع عن الذنب ،
والعزيمة على عدم العودة ، وإن كان ذلك في حق أخيك المسلم فترد عليه حقه أو التحلل منه .

والتوبة من أفضل الأعمال وأجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه عز وجل ، وقد بين مكانة هذه العبادة
عند الله عز وجل ، الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بقوله : " لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي

أَرْضٍ دَوِيَّةٍ مَهْلَكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهِا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتَّى أَذْرَكَهُ الْعَطَشُ ثُمَّ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ. فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيُمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ " (م / ٧١٣١) .

وقد أمره الله عز وجل بذلك ، فقال تعالى : (فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) (محمد / ١٩) ، وقال تعالى : (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (النور / ٣١) .

قد كان - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يكثر من الاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل حتى أنه في المجلس الواحد يتوب إلى الله ويستغفره سبعين مرة ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : " وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً " (خ / ٦٣٠٧) . وفي حديث الأعرابي بن يسار - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَنُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً " (م / ٧٠٣٤) .

وقد شرع الله لعباده الاستغفار بعد الأعمال الصالحة كالصلاة والحج ، قال تعالى : (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (البقرة / ١٩٩) ، عَنْ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا . (م / ١٣٦٢) . قال تعالى : (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) (طه / ٨٢) .

ذكر الله في هذه الآية أسباب للمغفرة ومنها :

١- التوبة النصوح في جميع الأوقات من جميع الذنوب والسيئات قال الله تعالى : (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (النور / ٣١) .

فإذا تبتم أفلحتم ونجحتم وسعدتم في الدنيا والآخرة وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (التحريم / ٨) وتكفير السيئات ودخول الجنات المشتملة على ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين حاصل لمن تاب إلى الله تعالى توبة نصوحًا صادقة بأن يفعل التائب الواجبات ويترك المحرمات ويندم على ما فات من ذنوب وسيئات ويعزم أن لا يعود إليها في المستقبل فإنها تكفر سيئاته ويدخل الجنة برحمة الله تعالى بسبب توبته النصوح وقال تعالى : (وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأعراف / ١٥٣) وقال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (الشورى / ٢٥) والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة .

التوبة بعد العصيان ، فالتوبة كذلك تجب ما كان قبلها قال تعالى : (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (النساء / ١٧) فمن تاب لله تاب الله عليه مهما أسرف وشطط ، والتائب على الله مغفور له بدلالة الآية السابقة وغيرها من آيات القرآن كقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم

جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (التحريم / ٨) و (عسى) حيثما جاءت في القرآن فهي متحققة الوقوع بخلاف (لعل) .

بل لا أدل على كرم الله وحلمه بعباده من أن تائبهم إذا قبل الله توبته جعل معاصيه وفجراته السابقة حسنات ترتفع بها درجاته وتكثر بها حسناته ذلك أنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر الله حسرة منه على ماضيه وغفلته، فيقلب الذنب السابق طاعة لله تعالى بهذا الاعتبار ، قال الله تعالى : (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (الفرقان / ٧٠) .

قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤ / ١٥٧) :

(فإنه كان للأوابين غفورا) في الأواب عشرة أقوال :

أحدها : أنه المسلم ، رواه الضحاك عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

والثاني : أنه التواب ، رواه أبو صالح عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، وبه قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وأبو عبيدة . وقال ابن قتيبة : هو التائب مرة بعد مرة . وقال الزجاج : هو التواب المُقْلَع عن جميع ما نهاه الله عنه ، يقال : قد آب يؤوب أَوْيًا : إذا رجع .

والثالث : أنه المسيح ، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

والرابع : أنه المطيع لله تعالى ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

والخامس : أنه الذي يذكر ذنبه في الخلاء ، فيستغفر الله منه ، قاله عبيد بن عمير .

والسادس : أنه المُقْبَل إلى الله تعالى بقلبه وعمله ، قاله الحسن .

والسابع : المصلي ، قاله قتادة .

والثامن : هو الذي يصلي بين المغرب والعشاء ، قاله ابن المنكدر .

والتاسع : الذي يصلي صلاة الضحى ، قاله عون العقيلي .

والعاشر : أنه الذي يُذْنِب سِرًّا ويتوب سِرًّا ، قاله السُّدِّي .

الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيَتَّقُونَهُ وَيَطِيعُونَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٤) نوح .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣ / ٢٨٨) .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ : يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ، أَنْذَرْتُكُمْ عَذَابَ اللَّهِ فَاحْذَرُوهُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ بِهِ (مُبِينٌ) يَقُولُ : قَدْ أَبْنَتْ لَكُمْ إِنْذَارِي إِيَّاكُمْ .

وَقَوْلُهُ : (أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا) . يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ نُوحٍ لِقَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ بِأَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ ، يَقُولُ : إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ أَنْذَرْتُكُمْ ، وَأَمَرْتُكُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ (وَاتَّقُوهُ) يَقُولُ : وَاتَّقُوا عِقَابَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ (وَأَطِيعُوا) يَقُولُ : وَانْتَهُوا إِلَى مَا آمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي لَكُمْ . وَقَوْلُهُ : (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) . يَقُولُ : يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : أَوَلَيْسَتْ مِنْ دَالَّةٍ عَلَى الْبَعْضِ ؟ قِيلَ : إِنَّ لَهَا مَعْنَيْنِ وَمَوْضِعَيْنِ : فَأَمَّا أَحَدُ الْمَوْضِعَيْنِ فَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا يَصِحُّ فِيهِ غَيْرُهَا . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمْ تَدُلَّ إِلَّا عَلَى الْبَعْضِ ، وَذَلِكَ كَقَوْلِكَ : اشْتَرَيْتُ مِنْ مَمَالِيكَ ، فَلَا يَصِحُّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ غَيْرُهَا ، وَمَعْنَاهَا : الْبَعْضُ ، اشْتَرَيْتُ بَعْضَ مَمَالِيكَ ، وَمِنْ مَمَالِيكَ مَمْلُوكًا . وَالْمَوْضِعُ الْآخَرُ : هُوَ الَّذِي يَصْلُحُ فِيهِ مَكَانُهَا عَنْ ، فَإِذَا صَلَحَتْ مَكَانُهَا عَنْ ذَلِكَ عَلَى الْجَمِيعِ ، وَذَلِكَ كَقَوْلِكَ : وَجَعَ بَطْنِي مِنْ طَعَامٍ طَعِمْتُهُ ، فَإِنْ مَعْنَى ذَلِكَ : أَوْجَعَ بَطْنِي طَعَامٍ طَعِمْتُهُ ، وَتَصْلُحُ مَكَانٌ مِنْ عَنْ ، وَذَلِكَ أَنَّكَ تَضَعُ مَوْضِعَهَا عَنْ فَيَصْلُحُ الْكَلَامُ فَتَقُولُ : وَجَعَ بَطْنِي عَنْ طَعَامٍ طَعِمْتُهُ ، وَمِنْ طَعَامٍ طَعِمْتُهُ ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) إِنَّمَا هُوَ : وَيَصْفَحُ لَكُمْ ، وَيَغْفُو لَكُمْ عَنْهَا ؛ وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ مَا قَدْ وَعَدْتُكُمْ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِ . فَأَمَّا مَا لَمْ يَعِدْكُمْ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِ فَقَدْ تَقَدَّمَ عَفْوُهُ لَكُمْ عَنْهَا .

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران / ٣١) .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٥ / ٣٢٤) :

اختلف أهل التأويل في السبب الذي أنزلت هذه الآية فيه ، فقال بعضهم : أنزلت في قوم قالوا على عهد النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إنا نحب ربنا ، فأمر الله جلَّ وعزَّ نبيه مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يقول لهم : إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَقُولُونَ فَاتَّبِعُونِي ، فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَامَةُ صِدْقِكُمْ فِيمَا قُلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ .

وقال آخرون : بل هذا أمر من الله نبيه مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من النصارى : إِنْ كَانَ الَّذِي يَقُولُونَهُ فِي عَيْسَى مِنْ عَظِيمِ الْقَوْلِ إِنَّمَا يَقُولُونَهُ تَعْظِيمًا لِلَّهِ وَحُبًّا لَهُ ، فَاتَّبِعُوا مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

قال ابن كثير في تفسيره (٢ / ٣٢) :

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله ، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر ، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال : " مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ " (م / ٤٥٩٠) ولهذا قال : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) أي : يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه ، وهو محبته إياكم ، وهو أعظم من الأول ، كما قال بعض الحكماء العلماء : ليس الشأن أن تُحِبَّ ، إنما الشأن أن تُحَبَّ وقال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية ، فقال :

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) .

ثم قال : (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أي : باتباعكم للرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يحصل لكم هذا كله ببركة سفارته .

ثم قال آمراً لكل أحد من خاص وعام : (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا) أي : خالفوا عن أمره (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر ، والله لا يحب من اتصف بذلك ، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه يحب الله ويتقرب إليه ، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ، ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس الذي لو كان الأنبياء - بل المرسلون ، بل أولو العزم منهم - في زمانه لما وسعهم إلا اتباعه ، والدخول في طاعته ، واتباع شريعته .

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / ١٢٨) :

وهذه الآية فيها وجوب محبة الله ، وعلاماتها ، ونتيجتها ، وثمراتها ، فقال (قل إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ) أي : ادعيت هذه المرتبة العالية ، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى ، بل لا بد من الصدق فيها ، وعلامة الصدق اتباع رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في جميع أحواله ، في أقواله وأفعاله ، في أصول

الدين وفروعه ، في الظاهر والباطن ، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى ، وأحبه الله وغفر له ذنبه ، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته ، ومن لم يتبع الرسول فليس محباً لله تعالى ، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله ، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها ، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها ، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق ، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله ، وما نقص من ذلك نقص .

الَّذِينَ أَجَابُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ

(يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) (الأحقاف / ٣١)

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١ / ١٧٢) :

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ مِنَ الْجَنِّ (يَا قَوْمَنَا) مِنَ الْجَنِّ (أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ) قَالُوا : أَجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا إِلَى مَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ (وَآمَنُوا بِهِ) يَقُولُ : وَصَدَّقُوهُ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ وَقَوْمُهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا دَعَاكُمْ إِلَى التَّصَدِيقِ بِهِ (يَغْفِرَ لَكُمْ) يَقُولُ : يَتَغَمَّدُ لَكُمْ رُبُّكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ فَيَسْتُرُهَا لَكُمْ وَلَا يَفْضَحُكُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ بِعُقُوبَتِهِ إِيَّاكُمْ عَلَيْهَا (وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) يَقُولُ : وَيُنْقِذُكُمْ مِنْ عَذَابٍ مُّوجِعٍ إِذَا أَنْتُمْ تُبْتِغُونَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَأَنْتُمْ مِنْ كُفْرِكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِدَاعِيهِ .

وجاء في أضواء البيان (٧ / ٢٣٦) :

قَوْلُهُ - تَعَالَى - : (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) .
مَنْطُوقُ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ مَنْ أَجَابَ دَاعِيَ اللَّهِ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَآمَنَ بِهِ ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ - غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ ، وَأَجَارَهُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ . وَمَنْفُوهُهَا ، أَعْنِي مَفْهُومُ مُخَالَفَتِهَا الْمَعْرُوفَ بِدَلِيلِ الْخَطَابِ ، أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ مِنَ الْجَنِّ ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ لَمْ يَغْفِرَ لَهُ ، وَلَمْ يُجِرْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، بَلْ يُعَذِّبُهُ وَيُدْخِلُهُ النَّارَ ، وَهَذَا الْمَفْهُومُ جَاءَ مُصَرِّحًا بِهِ مُبَيِّنًا فِي آيَاتٍ أُخَرَ ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَى - : (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (هود / ١١٩) . وَقَوْلِهِ - تَعَالَى - : (وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (السجدة / ١٣) . وَقَوْلِهِ - تَعَالَى - : (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ) (الأعراف / ٣٨) . وَقَوْلِهِ - تَعَالَى - : (فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) (الشعراء / ٩٤ - ٩٥) . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ .

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ

(إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (الملك / ١٢)

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣ / ١٢٦) :

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : إِنَّ الَّذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ : يَقُولُ : وَهُمْ لَمْ يَرَوْهُ (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يَقُولُ : لَهُمْ عَقُوبٌ مِنَ اللَّهِ عَنْ ذُنُوبِهِمْ (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) . يَقُولُ : وَثَوَابٌ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ عَلَى خَشْيَتِهِمْ إِيَّاهُ بِالْغَيْبِ جَزِيلٌ .

و جاء في أضواء البيان ٩ / ٥٥ :

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ السِّرُّ الْأَعْظَمُ ، وَهُوَ كَوْنُ الْخَشْيَةِ فِي الْغَيْبَةِ عَنِ النَّاسِ ، وَهَذَا أَعْلَى مَرَاتِبِ الْمُرَاقَبَةِ لِلَّهِ ، وَالْخَشْيَةُ أَشَدُّ الْخَوْفِ .

الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ

(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (١٣٥) آل عمران .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٦٠ / ٦) :

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : (أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) .

يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ : أُولَئِكَ الَّذِينَ ذَكَرَ أَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، وَوَصَفَهُمْ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ (جَزَاءُهُمْ) يَعْنِي ثَوَابُهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي وَصَفَهُمْ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَنَّهُمْ عَمِلُوهَا ، (مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) يَقُولُ : عَفْوٌ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَنْ عُقُوبَتِهِمْ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ ، وَلَهُمْ عَلَى مَا أَطَاعُوا اللَّهَ فِيهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مَعَ مَحْوِ السَّيِّئِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ بِالْحَسَنِ مِنْهَا جَنَّاتٌ ، وَهِيَ الْبَسَاتِينُ (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يَقُولُ : تَجْرِي خِلَالَ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ ، وَفِي أَصْفَائِهَا جَزَاءٌ لَهُمْ عَلَى صَالِحِ أَعْمَالِهِمْ ، (خَالِدِينَ فِيهَا) يَعْنِي دَائِمِي الْمَقَامِ فِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ الَّتِي وَصَفَهَا ، (وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) يَعْنِي وَنِعْمَ جَزَاءُ الْعَامِلِينَ لِلَّهِ الْجَنَّاتِ الَّتِي وَصَفَهَا .

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / ١٤٨) :

أمرهم تعالى بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض ، فكيف بطولها ، التي أعدها الله للمتقين ، فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها ، ثم وصف المتقين وأعمالهم ، فقال : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ) أي : في حال عسرهم ويسرهم ، إن أيسروا أكثروا من النفقة ، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئا ولو قل .

(والكاظمين الغيظ) أي : إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم - وهو امتلاء قلوبهم من الحق ، الموجب للانتقام بالقول والفعل - ، هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية ، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم .

(والعافين عن الناس) يدخل في العفو عن الناس ، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل ، والعفو أبلغ من الكظم ، لأن العفو ترك المؤاخذه مع السماحة عن المسيء ، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة ، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة ، وممن تاجر مع الله ، وعفا عن عباد الله رحمة بهم ، وإحسانا إليهم ، وكراهة لحصول الشر عليهم ، وليعفو الله عنه ، ويكون أجره على ربه الكريم ، لا على العبد الفقير ، كما قال تعالى : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) .

ثم ذكر حالة أعم من غيرها ، وأحسن وأعلى وأجل ، وهي الإحسان ، فقال تعالى : (والله يحب المحسنين) والإحسان نوعان : الإحسان في عبادة الخالق . والإحسان إلى المخلوق ، فالإحسان في عبادة الخالق . فسرها النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بقوله : " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ " وأما الإحسان إلى المخلوق ، فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم ، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم ، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وتعليم جاهلهم ، ووعظ غافلهم ، والنصيحة لعامتهم وخاصتهم ، والسعي في جمع كلمتهم ، وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم ، على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم ، فيدخل في ذلك بذل الندي وكف الأذى ، واحتمال الأذى ، كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات ، فمن قام بهذه الأمور ، فقد قام بحق الله وحق عبده .

ثم ذكر اعتذارهم لربهم من جنایاتهم وذنوبهم ، فقال : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) أي : صدر منهم أعمال سيئة كبيرة ، أو ما دون ذلك ، بادروا إلى التوبة والاستغفار ، وذكروا ربهم ، وما تواعد به العاصين ووعد به المتقين ، فسألوه المغفرة لذنوبهم ، والستر لعيوبهم ، مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها ، فلماذا قال : (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) .

(أولئك) الموصوفون بتلك الصفات (جزاؤهم مغفرة من ربهم) تزيل عنهم كل محذور (وجنات تجري من تحتها الأنهار) فيها من النعيم المقيم ، والبهجة والسرور والبهاء ، والخير والسرور ، والقصور والمنازل الأنيقة العاليات ، والأشجار المثمرة البهية ، والأنهار الجارية في تلك المساكن الطيبات ، (خالدين فيها) لا يحولون عنها ، ولا ييغون بها بدلا ولا يغير ما هم فيه من النعيم ، (ونعم أجر العاملين) عملوا لله قليلا فأجروا كثيرا ف " عند الصباح يحمد القوم السرى " وعند الجزاء يجد العامل أجره كاملا موفرا .

وهذه الآيات الكريمات من أدلة أهل السنة والجماعة ، على أن الأعمال تدخل في الإيمان ، خلافاً للمرجئة ، ووجه الدلالة إنما يتم بذكر الآية ، التي في سورة الحديد ، نظير هذه الآيات ، وهي قوله تعالى : (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين ءامنوا بالله ورسله) فلم يذكر فيها إلا لفظ الإيمان به ورسله ، وهنا قال : (أعدت للمتقين) ثم وصف المتقين بهذه الأعمال المالية والبدنية ، فدل على أن هؤلاء المتقين الموصوفين بهذه الصفات هم أولئك المؤمنون .

الَّذِي يَعْمَلُ سُوءًا أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ

(وَمَنْ يَعْمَلُ سُوءًا أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) (النساء / ١١٠) .

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / ٢٠٠) :

قال تعالى : (وَمَنْ يَعْمَلُ سُوءًا أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) أي : من تجرأ على المعاصي واقتحم على الإثم ثم استغفر الله استغفارًا تامًا يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه والإقلاع والعزم على أن لا يعود . فهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة .

فيغفر له ما صدر منه من الذنب ، ويزيل عنه ما ترتب عليه من النقص والعيب ، ويعيد إليه ما تقدم من الأعمال الصالحة ، ويوفقه فيما يستقبله من عمره ، ولا يجعل ذنبه حائلًا عن توفيقه ، لأنه قد غفره ، وإذا غفره غفر ما يترتب عليه .

واعلم أن عمل السوء عند الإطلاق يشمل سائر المعاصي ، الصغيرة والكبيرة ، وسمي " سوءًا " لكونه يسوء عامله بعقوبته ، ولكونه في نفسه سيئًا غير حسن .

وكذلك ظلم النفس عند الإطلاق يشمل ظلمها بالشرك فما دونه . ولكن عند اقتران أحدهما بالآخر قد يفسر كل واحد منهما بما يناسبه ، فيفسر عمل السوء هنا بالظلم الذي يسوء الناس ، وهو ظلمهم في دماءهم وأموالهم وأعراضهم .

ويفسر ظلم النفس بالظلم والمعاصي التي بين الله وبين عبده ، وسمي ظلم النفس " ظلمًا " لأن نفس العبد ليست ملكا له يتصرف فيها بما يشاء ، وإنما هي ملك لله تعالى قد جعلها أمانة عند العبد وأمره أن يقيمها على طريق العدل ، بإلزامها للصرات المستقيم علمًا وعملا فيسعى في تعليمها ما أمر به ويسعى في العمل بما يجب ، فسعيه في غير هذا الطريق ظلم لنفسه وخيانة وعدول بها عن العدل ، الذي ضده الجور والظلم .

ومن أهم موجبات المغفرة وأجمعها هو طلب المغفرة من الله بالاستغفار وفي ذلك يقول تعالى :

(وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المزمل / ٢٠) ويقول تعالى : (وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)

(النساء / ١٠٦) والقرآن دلّ على أن من استغفر الله تابًا وعازمًا على ترك الإصرار على المعصية فسيتجيب

الله دعائه ويغفر له قال الله تعالى : (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا)

(النساء / ١١٠) وهذا وعدٌ من الله لا يتخلف ولا يتبدل ومن أوفى بعهده من الله ؟

وليس من حرج في كون الإنسان يذنب ويستغفر لكن الحرج كل الحرج في تركه لهذه العبادة الجليلة الموجبة لرضوان الله تعالى .

ولذلك وصف ربنا سبحانه المتقين الذين أُعِدَّتْ لهم الجنة في أكثر من موضع في القرآن بكثرة استغفارهم وأثنى

عليهم بأنهم يستغفرون الله إذا غفلوا وعصوا فيتطهرون باستغفارهم مما لحقهم من أدران المعاصي ومن ذلك

قوله تعالى : (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) (آل عمران / ١٧) وقوله : (أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

الْغَافِرِينَ) (الأعراف / ١٥٥) ويبيّن الله أنه يغفر لهم جزاء استغفارهم وتوبتهم إليه قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا

فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَكُنْ لَهُ ذَنْبٌ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ (آل عمران / ١٣٥ - ١٣٦) .

الاستغفار ولو عظمت الذنوب : وبلغت العنان وهو السحاب ، وقيل : ما انتهى إليه البصر منها .
وفي الرواية الأخرى : (لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَمَلَأَ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَعَفَرَ لَكُمْ) (السلسلة الصحيحة / ١٩٥١) .

- ومن أسباب المغفرة في القرآن أن المسلم إذا مرَّت به محنة أو وقع في فتنه فعاد إلى الله واستعان بالاستغفار على محنته تلك وأتاب إليه فإن الله يغفر له قال الله تعالى عن داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام (وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ) (ص / ٢٤ - ٢٥) فكان حاله عليه السلام بعد التوبة أحسن منه قبلها بسبب إنباته وضارعه إلى الله ، والتعبير بالفاء في قول الله (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) له دلالة التي لا تخفى في أن التوبة عليه كانت عقب استغفاره وإنابته مباشرة .
عن أنس - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول : " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ ، وَلَا أَبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تَشْرُكَ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً " (صحيح الترمذي / ٣٥٤٠) .

في هذا الحديث بشارة عظيمة ، وحلم وكرم عظيم ، وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان والرفقة والرحمة والامتنان ، قوله تعالى : " يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ " يعني غفرت لك على عظم ذنوبك وكثرة خطاياك .
ما معنى الاستغفار ؟

- معنى الاستغفار : والاستغفار : طلب المغفرة ، والمغفرة هي وقاية شر الذنوب مع سترها ، وقد كثر في القرآن ذكر الاستغفار :

- فتارة يؤمر به : كقوله تعالى : (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة المزمل / ٢٠) .
- وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره : كقوله تعالى : (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) (سورة النساء / ١١٠) .

- الاستغفار المقرون بالتوبة : وكثيراً ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة ، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان ، والتوبة : عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح .
- إفراد الاستغفار : وتارة يفرد الاستغفار ، ويرتب عليه المغفرة كما ذكر الحديث ، وما أشبهه .

- الاستغفار المقبول : قيل : إنه أريد به الاستغفار المقترن بالتوبة . وقيل : إن نصوص الاستغفار المطلقة تقيد بما ذكر في آية آل عمران : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَكُنْ لَهُ ذَنْبٌ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥)) . من عدم الإصرار ، فإن الله وعد فيها

بالمغفرة لمن استغفر من ذنوبه ، ولم يصر على فعله ، فتحمل النصوص المطلقة في الاستغفار كلها على هذا القيد .

ومجرد قول القائل : اللهم اغفر لي ، طلب منه للمغفرة ، فيكون حكمه حكم سائر الدعاء ، فإن شاء الله أجابه وغفر لصاحبه ، ولا سيما إذا خرج عن قلب منكسر بالذنوب ، أو صادف ساعة من ساعات الإجابة كالأسحار وأدبار الصلوات .

ويروى عن لقمان أنه قال لابنه : (يا بني عود لسانك اللهم اغفر لي ؛ فإن الله ساعات لا يرد فيها سائلاً) .

وقال الحسن : أكثروا من الاستغفار في بيوتكم ، وعلى موائدكم ، وفي طرقكم ، وفي أسواقكم ، وفي مجالسكم ، وأينما كنتم ؛ فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة . وعن مغيث بن سمي قال : بينما رجل خبيث ، فتذكر يوماً اللهم غفرانك ، اللهم غفرانك ، ثم مات ، فغفر له .

ويشهد لهذا ما في الصحيحين عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا ، وَرَبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ رَبِّ أَذْنَبْتُ ، وَرَبَّمَا قَالَ أَصَبْتُ - فَاغْفِرْ لِي فَقَالَ رَبُّهُ أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا ، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَذْنَبْتُ ، أَوْ أَصَبْتُ - آخَرَ فَاغْفِرْهُ فَقَالَ أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، وَرَبَّمَا قَالَ أَصَابَ ذَنْبًا - قَالَ : قَالَ رَبِّ أَصَبْتُ ، أَوْ أَذْنَبْتُ - آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي فَقَالَ أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي - ثَلَاثًا - فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ " (خ / ٧٥٠٧) . والمعنى : ما دام على هذا الحال كلما أذنب استغفر ، والظاهر أن مراده الاستغفار المقرون بعدم الإصرار .

- الإصرار من موانع إجابة الاستغفار : الاستغفار باللسان مع إصرار القلب على الذنب هو دعاء مجرد إن شاء الله أجابه ، وإن شاء رده ، وقد يكون الإصرار مانعاً من الإجابة . وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : " ... وَإِلَّ لِلْمُصْرِينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ " رواه أحمد . (صحيح) انظر حديث رقم : ٨٩٧ في صحيح الجامع .

- الاستغفار الموجب للمغفرة : قول القائل : أستغفر الله . معناه : أطلب مغفرته ، فهو كقوله : اللهم اغفر لي . فالاستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار كما مدح الله تعالى أهله ، ووعدهم بالمغفرة .

قال بعض العارفين : من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته فهو كاذب في استغفاره ، وفي ذلك يقول بعضهم

اسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ... مِنْ لَفْظَةٍ بَدَرَتْ خَالَفَتْ مَعْنَاهَا

وَكَيْفَ أَرْجُو إجاباتِ الدُّعَاءِ وَقَدْ ... سَدَدْتُ بِالدَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ مَجْرَاهَا

فأفضل الاستغفار ما قرن به ترك الإصرار ، وهو حينئذ يؤمل توبة نصوحاً وإن قال بلسانه : (استغفر الله) وهو

غير مقلع بقلبه ، فهو داع لله بالمغفرة كما يقول : اللهم اغفر لي ، فقد يرجي له الإجابة .

وأما من تاب توبة الكذابين فمراده أنه ليس بتوبة كما يعتقد بعض الناس وهذا حق . فإن التوبة لا تكون مع الإصرار .

ما أفضل أنواع الاستغفار ؟

– أفضل أنواع الاستغفار : أن يبدأ العبد بالشاء على ربه ، ثم يشئ بالاعتراف بذنبه ، ثم يسأل الله المغفرة ، كما في حديث شداد بن أوس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : " سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي اغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " . (خ / ٦٣٠٦) .

– من أنواع الاستغفار : ومن أنواع الاستغفار أن يقول العبد ما جاء في الحديث : " مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الرَّحْفِ " (صحيح أبي داود / ١٥١٧) .

– كم يستغفر في اليوم ؟

قال أبو هريرة - رضي الله عنه - سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً " (خ / ٦٣٠٧) . وعن الأغر المزني - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً " (م / ٧٠٣٣) . وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ " رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " (صحيح أبي داود / ١٥١٨) . وقال - صلى الله عليه وسلم - : " طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتَغْفَارًا كَثِيرًا " (صحيح ابن ماجه / ٣٨١٨) .

ما أهمية الاستغفار وفوائده ؟

قال الله تعالى : (وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣)) (هود / ٣) . وقد ورد الحث على الاستغفار في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وذلك لحاجة الإنسان إليه في كل وقت ، لتقصيره في الطاعات ، ووقوعه في معصية الله تعالى .

فجاء الاستغفار ليعالج هذا النقص عند الإنسان ، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ : " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ : وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ ، فَقَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أزالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي " (السلسلة الصحيحة / ١٠٤) .

قال تعالى : (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)) (آل عمران / ١٣٣ - ١٣٦) .

– دواء الذنوب الاستغفار : وبالجمله فدواء الذنوب الاستغفار ، قال قتادة : إن هذا القرآن يدلکم على دائکم ودوائکم ، فأما داؤکم : فالذنوب ، وأما دواؤکم : فالاستغفار .

– طلب الاستغفار ممن قلّت ذنوبه : ومن زاد اهتمامه بذنوبه ، فربما تعلق بأذيال من قلت ذنوبه ، فالتمس منهم الاستغفار وكان عمر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول : إنکم لم تذنوبوا . وكان أبو هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يقول لعلمان الكتاب قولوا : اللهم اغفر لأبي هريرة . فيؤمن على دعائهم .

دعوة الانبياء أقوامهم للاستغفار :

١- فهذا نوح - عليه السلام - يدعو قومه للاستغفار وقد أخبر الله عنه بكتابه العزيز قال تعالى : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) (نوح / ١٠ - ١٣) .

٢ - وهذا هود - عليه السلام - يدعو قومه للاستغفار وقد أخبر الله عنه بكتابه العزيز قال تعالى : (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) (هود / ٥٢) .

٣ - وهذا صالح - عليه السلام - يدعو قومه للاستغفار وقد أخبر الله عنه بكتابه العزيز قال تعالى : (وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) (هود / ٦١) .

٤ - وهذا شعيب - عليه السلام - يدعو قومه للاستغفار وقد أخبر الله عنه بكتابه العزيز قال تعالى : (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) (هود / ٩٠) .

٥ - وهذا نبينا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يدعو قومه للاستغفار وقد أخبر الله عنه بكتابه العزيز قال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) (فصلت / ٦) .

الَّذِينَ يُقْرِضُونَ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (التغابن / ١٧) .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣ / ٢١) :

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَإِنْ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَتُحْسِنُوا فِيهَا النَّفَقَةَ ، وَتَحْتَسِبُوا بِإِنْفَاقِكُمْ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ يُضَاعِفُ ذَلِكَ لَكُمْ رَبُّكُمْ ، فَيَجْعَلُ لَكُمْ مَكَانَ الْوَاحِدِ سَبْعَ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا يَشَاءُ مِنَ التَّضْعِيفِ (يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) فَيَصْفَحُ لَكُمْ عَنْ عُقُوبَتِكُمْ عَلَيْهَا مَعَ تَضْعِيفِهِ نَفَقَتَكُمْ الَّتِي تُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِهِ (وَاللَّهُ شَكُورٌ) يَقُولُ : وَاللَّهُ ذُو شُكْرِ لِأَهْلِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ ، بِحُسْنِ الْجَزَاءِ لَهُمْ عَلَى مَا أَنْفَقُوا فِي الدُّنْيَا فِي سَبِيلِهِ (حَلِيمٌ) يَقُولُ : حَلِيمٌ عَنْ أَهْلِ مَعَاصِيهِ بِتَرْكِ مُعَاجَلَتِهِمْ بِعُقُوبَتِهِ .

قال ابن كثير في تفسيره (٨ / ١٤١) :

قوله : (إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ) أي : مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ، ونزل ذلك منزلة القرض له ، كما ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول : " مَنْ يُقْرِضْ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظُلُومٍ " (م / ١٨١١) ولهذا قال : (يُضَاعِفْهُ لَكُمْ) كما تقدم في سورة البقرة : (فَيُضَاعِفْهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) (البقرة / ٢٤٥) .

(وَيَغْفِرْ لَكُمْ) أي : ويكفر عنكم السيئات . ولهذا قال : (وَاللَّهُ شَكُورٌ) أي : يجزي على القليل بالكثير (حليم) أي : يعفو و يصفح ويغفر ويستتر ، ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات .

و قال مصطفى العدوي في سلسلة التفسير :

قال تعالى : (إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (التغابن / ١٧) أصل القرض : القطع والجز ، فكما يقال مثلاً : فلان قرض شيئاً ، أي : قطع شيئاً ، ويقال في التعبير اللغوي : الفأر قرض كذا ، أي : قطع منه شيئاً .

فالقرض هو القطع ، فمعنى : (إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ) (إِنْ تَقْتَضِعُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا وَتَقْرِضُونَهُ لِلَّهِ ، وهذا مقيد بالقرض الحسن ، فلا تقرضوا قرضاً من الربا أو السرقة .

قال : (إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) (التغابن / ١٧) ، فلماذا قال : (تقرضوا) ، والله سبحانه وتعالى صاحب الفضل وإنما جعلنا مستخلفين في هذا المال ، وهو الذي يعطي ويهب ؟ قال فريق من أهل العلم : إن القرض أطلق هنا ؛ لأن الله وعد برده مضاعفاً وبالإثابة عليه ، فلذلك جرت الصدقة مجرى القرض ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الشاهد : أن القرض قيد بأنه قرض حسن ، وفي الحديث : (إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا) (م / ٢٣٩٣) .

قال تعالى : (إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ) (التغابن / ١٧) ، كم حد هذا التضعيف ؟ بعض

العلماء حاول أن يقيد التضعيف بسبعمئة ضعف ، وقال : هذا أكثر ما ورد صريحاً في سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، لكن غيره من العلماء أطلق وقال : إن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : " مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ

تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرِيّ أَحَدُكُمْ فَلَوُهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ " (خ / ١٤١٠ ، م / ٢٣٩٠) والجبل بالنسبة للتمرة أكثر من مئات الألوف بل الملايين من الأحجام ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال تعالى : (وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (التغابن / ١٧) أي : شاكراً لأفعالكم التي تصنعونها ابتغاء وجهه ، شاكراً لنفقاتكم التي تنفقونها ابتغاء وجهه سبحانه وتعالى .

(وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (التغابن / ١٧) ، لا يعاجل بالعقوبة ، فإذا أخطأت لم يعاجلك ربك سبحانه وتعالى بالعقوبة ، وقد ورد في هذا الباب حديث ، وللعلماء في تحسينه وتضعيفه قولان ، ألا وهو : (إِنَّ صَاحِبَ الشَّامَالِ لَيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ أَوْ الْمُسِيءِ ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا أَلْقَاهَا ، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً) قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ٢٠٩٧ في صحيح الجامع ، فبعض أهل العلم يورد هذا الحديث عند تفسير صفة الله سبحانه وتعالى الحليم ، ولا يتعارض هذا مع قول الله سبحانه وتعالى - كما في الحديث القدسي - لملائكته : " إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكُبُوهَا سَيِّئَةً " فقلوه : (فَاتَّكُبُوهَا سَيِّئَةً) : لا تفيد الكتابة المباشرة ؛ فتحمل على الكتابة بعد هذا الوقت المحدد ، جمعاً بين الدليلين ، والله تعالى أعلم .

وقوله : (وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (التغابن / ١٧) فيه إثبات صفة الحلم التي هي عدم المعالجة بالعقوبة ، وهي من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها العباد ، فله صفات ينبغي أن يتحلى بها العباد ، وصفات لا يشاركه فيها غيره : " الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي " (صحيح أبي داود / ٤٠٩٠) .

أما صفة الحلم فيحبها الله سبحانه وتعالى في عباده ، فثم صفات لله يحبها في عباده : (إن الله جميل يحب الجمال) ، الله كريم يحب الكرماء ، الله رحيم يحب الرحماء ، الله حليم يحب الحلماء من عباده . قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ل أشج عبد القيس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : " إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ " (م / ١٢٦) فالشاهد : أن صفة الحلم صفة يحبها الله سبحانه وتعالى في عباده ، فلا تتعجل بإنزال العقوبات ، بل تأن وتريث ، فالتؤدة في كل شيء خير ، والله أعلم .

الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)
(الحجرات / ٣) .

فدلالة الآية على غض الصوت عنده في حياته تامة الظهور ، وأمّا بعد موته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقد نصّ العلماء رحمهم الله على أنه محترمٌ حيًّا وميتًا ، وأنّ حرمة رفع الصوت بجوار قبره كحرمة رفعه بحضرته في حياته ، ولا أدلّ على ذلك من فعل عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، فعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَّبَنِي رَجُلٌ فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ : اذْهَبْ فَأَتِنِي بِهِدَيْنِ فَجِئْتُهُ بِهِمَا ، قَالَ مَنْ أَنْتُمَا ؟ ، أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا ؟ قَالَا : مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ ، قَالَ : لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا ، تَرَفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . (خ / ٤٧٠) .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١ / ٣٤٣) :

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : إِنَّ الَّذِينَ يَكُفُّونَ رَفْعَ أَصْوَاتِهِمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَأَصْلُ الْغَضِّ : الْكَفُّ فِي لِينٍ وَمِنْهُ : غَضُّ الْبَصَرِ ، وَهُوَ كَفُّهُ عَنِ النَّظَرِ ، كَمَا قَالَ جَرِيرٌ :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغَتْ وَلَا كِلَابًا .

وَقَوْلُهُ : (أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، هُمُ الَّذِينَ اخْتَبَرَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِامْتِحَانِهِ إِيَّاهَا ، فَاصْطَفَاهَا وَأَخْلَصَهَا لِلتَّقْوَى ، يَعْنِي لَا تَقَائِهِ بِأَدَاءٍ طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ ، كَمَا يُمْتَحَنُ الذَّهَبُ بِالنَّارِ ، فَيَخْلُصُ جَيِّدُهَا ، وَيَبْطُلُ خَبْثُهَا .
ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ :

عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَوْلُهُ : (امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) قَالَ : أَخْلَصَ .

عَنْ قَتَادَةَ ، فِي قَوْلِهِ : (امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) قَالَ : أَخْلَصَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فِيمَا أَحَبَّ .

وَقَوْلُهُ : (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يَقُولُ : لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَفْوٌ عَنْ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ ، وَصَفَحَ مِنْهُ عَنْهَا لَهُمْ (وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) يَقُولُ : وَثَوَابٌ جَزِيلٌ ، وَهُوَ الْجَنَّةُ .

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / ٧٩٩) :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) .

هذا متضمن للأدب ، مع الله تعالى ، ومع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، والتعظيم له ، واحترامه ، وإكرامه ، فأمر الله عباده المؤمنين ، بما يقتضيه الإيمان ، بالله وبرسوله ، من امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، وأن يكونوا ماشين ، خلف أوامر الله ، متبعين لسنة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، في جميع أمورهم ،

و أن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله ، ولا يقولوا ، حتى يقول ، ولا يأمر ، حتى يأمر ، فإن هذا ، حقيقة الأدب الواجب ، مع الله ورسوله ، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه ، وبفواته ، تفوته السعادة الأبدية ، والنعيم السرمدى ، وفي هذا ، النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، على قوله ، فإنه متى استبان سنة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وجب اتباعها ، وتقديمها على غيرها ، كائنًا ما كان .

ثم أمر الله بتقواه عمومًا ، وهي كما قال طلق بن حبيب : أن تعمل بطاعة الله ، على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله ، على نور من الله ، تخشى عقاب الله .

وقوله : (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) أي : لجميع الأصوات في جميع الأوقات ، في خفي المواضع والجهات ، (عَلِيمٌ) بالظواهر والبواطن ، والسوابق واللواحق ، والواجبات والمستحيلات والممكنات .

وفي ذكر الاسمين الكريمين - بعد النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله ، والأمر بتقواه - حث على امتثال تلك الأوامر الحسنة ، والآداب المستحسنة ، وترهيب عن عدم الامتثال .

ثم قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ) وهذا أدب مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، في خطابه ، أي : لا يرفع المخاطب له ، صوته معه ، فوق صوته ، ولا يجهر له بالقول ، بل يخفض الصوت ، ويخاطبه بأدب ولين ، وتعظيم وتكريم ، وإجلال وإعظام ، ولا يكون الرسول كأحدهم ، بل يميزوه في خطابهم ، كما تميز عن غيره ، في وجوب حقه على الأمة ، ووجوب الإيمان به ، والحب الذي لا يتم الإيمان إلا به ، فإن في عدم القيام بذلك ، محذورًا ، وخشية أن يحبط عمل العبد وهو لا يشعر ، كما أن الأدب معه ، من أسباب حصول الثواب و قبول الأعمال .

ثم مدح من غض صوته عند رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، بأن الله امتحن قلوبهم للتقوى ، أي : ابتلاها واختبرها ، فظهرت نتيجة ذلك ، بأن صلحت قلوبهم للتقوى ، ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم ، المتضمنة لزوال الشر والمكروه ، والأجر العظيم ، الذي لا يعلم وصفه إلا الله تعالى ، وفي الأجر العظيم وجود المحبوب وفي هذا ، دليل على أن الله يمتحن القلوب ، بالأمر والنهي والمحن ، فمن لازم أمر الله ، واتباع رضاه ، وسارع إلى ذلك ، وقدمه على هواه ، تمحض وتمحص للتقوى ، وصار قلبه صالحًا لها ومن لم يكن كذلك ، علم أنه لا يصلح للتقوى .

وجاء في أضواء البيان (٧ / ٤٠٣) :

مَسْأَلَتَانِ

الأولى : اعْلَمْ أَنَّ عَدَمَ احْتِرَامِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُشْعِرَ بِالْغَضِّ مِنْهُ ، أَوْ تَنْقِصَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْإِسْتِخْفَافَ بِهِ أَوْ الْإِسْتِهْزَاءَ بِهِ - رِدَّةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ وَكُفْرٌ بِاللَّهِ .

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي الَّذِينَ اسْتِهْزَؤُوا بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَسَخَرُوا مِنْهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ لَمَّا صَلَّتْ رَاحِلَتُهُ : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) (التوبة / ٦٥ - ٦٦) .

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ : وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ الْمَسَائِلِ ، اعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِ رَبُّوبِيَّتِهِ ، الَّتِي لَا يَجُوزُ صَرْفُهَا لِغَيْرِهِ ، وَبَيْنَ حُقُوقِ خَلْقِهِ كَحَقِّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِيَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ ، عَلَى ضَوْءِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ .

وفي تفسير العثيمين (٧ / ١٠) :

أثنى الله تعالى على الذين يغضون أصواتهم عند الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال : (إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)

لما نهى عن رفع الصوت فوق صوته ، وعن الجهر له بالقول كجهر بعضنا لبعض ، أثنى على الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ، أي يخفضونها ويتكلمون بأدب ، فلا إزعاج ولا صخب ، ولا رفع صوت ، لكن يتكلمون بأدب وغمض ، قال الله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) أعاد الإشارة (أولئك) تعظيماً لشأنهم ورفعة لمنزلتهم ، لأن (أولئك) من أسماء الإشارة الدالة على البعد ، وذلك لعلو منزلتهم ، فأتى باسم الإشارة بياناً لرفعة منزلتهم وعلوها .

(امتحن الله قلوبهم) . قال العلماء : معناها أخلصها للتقوى ، فكانت قلوبهم مملوءة بتقوى الله - عز وجل - ولهذا تأدبوا بأداب الله تعالى التي وجه لها فغضوا أصواتهم عند الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فأخبر عن ثوابهم : (لهم مغفرة وأجر عظيم) ، مغفرة من الله لذنوبهم ، وأجر عظيم على أعمالهم الصالحة ، وفي هذه الآية إشارة إلى أن الصلاح صلاح القلب ، لقوله : (امتحن الله قلوبهم للتقوى) . وكما قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " التَّقْوَى هَاهُنَا وَبُشَيْرُهَا إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " (م / ٤٦٥٠) ولا شك أن التقوى تقوى القلب ، أما تقوى الجوارح وهي إصلاح ظاهر العمل ، فهذا يقع حتى من المنافقين : (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم) لكن الكلام على تقوى القلب التي هي بها الصلاح ، نسأل الله تعالى أن يرزقنا ذلك . وبعض الناس يفعل المعاصي كإسبال الثوب مثلاً ، أو حلق اللحية ، أو شرب الدخان ، وتنهاه وتخوفه من عقاب الله ، فيقول : التقوى هاهنا ، كأنه يزكي نفسه ، وهو قائم بمعصية الله ، فنقول له بكل سهولة : لو كان ما هنا متقياً لكانت الجوارح متقية ؛ لأن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول : " أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ " (خ / ٥١ ، م / ٤١٧٨) .

و قال فهد السليمان في تفسير الحجرات (١ / ١٤) :

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) .

هذه الآية الكريمة لها تعلق بالآية السابقة لما أمر الله سبحانه وتعالى بعدم رفع الصوت فوق صوت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وعدم الجهر له بالقول كجهر بعضنا لبعض امتثل الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - لهذا الأمر وأذعنوا له كما ورد في الآية السابقة عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

تفسير الآية : -

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ)

يغضون أصواتهم : أي يخفضونها عند رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

هؤلاء الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما جزاؤهم ؟

قال تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِتَتَّقُوا)

أولئك : إشارة للبعيد ، وهي تعظيم لهؤلاء الذين امتثلوا أمر الله سبحانه وتعالى .

امتحن : أي جعلها خالصة لهذه التقوى التي أمر بها سبحانه وتعالى .

وقال بعض أهل العلم : معنى امتحنها للتقوى أي : اختصها للتقوى ، وابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يقول : أي

طهرهم من كل قبيح وجعل في قلوبهم الخوف من الله سبحانه وتعالى ، والمعاني متقاربة .

قال تعالى : (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) .

(مغفرة) : من الله سبحانه وتعالى لذنوبهم . (أجر عظيم : على أعمالهم) .

وتأمل في هذه الآية الكريمة كيف جمع الله لهم المغفرة والأجر العظيم لأن الإنسان محتاج لمغفرة ذنوبه وإلى رفعة درجاته .

وهذه المغفرة والأجر لامثالهم أمر الله وأدبهم مع نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

من فوائد الآية : -

(١) الشاء على من غض صوته عند رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

(٢) الإشارة إلى اصلاح القلوب لقوله سبحانه : (امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) ما قال امتحن أبدانهم فدل على أن الأمر عائد إلى القلب .

(٣) عظيم فضل الله وثوابه حيث غفر لهم وأعد لهم أجراً عظيماً .

(٤) الحث على التأدب في الكلام .

الطَّيِّبُونَ وَالطَّيِّبَاتُ

(الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (النور / ٢٦) .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٣٢) :

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معناه الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول ، والطيبات للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول .

ذكر من قال ذلك :

وقوله : (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ) يقول : الطيبات من القول للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من القول . نزلت في الذين قالوا في زوجة النبي - صلى الله عليه وسلم - ما قالوا من البهتان . ويقال : الخبيثات للخبيثين : الأعمال الخبيثة تكون للخبيثين ، والطيبات من الأعمال تكون للطيبين . عن مجاهد : (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس .

عن ابن أبي نجيح ، في قول الله : (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) قال : الطيبات : القول الطيب يخرج من الكافر والمؤمن فهو للمؤمن ؛ والخبيثات : القول الخبيث يخرج من المؤمن والكافر فهو للكافر . (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) وذلك أنه برأ كليهما مما ليس بحق من الكلام .

عن مجاهد ، في قوله : (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ) يقول : الخبيثات والطيبات : القول السيئ والحسن ؛ للمؤمنين الحسن ، وللكافرين السيئ . (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمؤمنين ، وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين ، كل بريء مما ليس بحق من الكلام .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام .

عن الضحاك ، في قوله : (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ) . الآية ، قال : الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من القول . فهذا في الكلام ، وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا ، هم الخبيثون . والطيبون هم المبرءون مما قال الخبيثون .

عن الضحاك : (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس .

عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، وَعُثْمَانَ بْنِ الْأَسْوَدِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) قَالَ : الْخَبِيثَاتُ مِنَ الْكَلَامِ لِلْخَبِيثِينَ مِنَ النَّاسِ ، وَالْخَبِيثُونَ مِنَ النَّاسِ لِلْخَبِيثَاتِ مِنَ الْقَوْلِ ، وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الْقَوْلِ لِلطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ ، وَالطَّيِّبُونَ مِنَ النَّاسِ لِلطَّيِّبَاتِ مِنَ الْقَوْلِ .

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) قَالَ : الْخَبِيثَاتُ مِنَ الْقَوْلِ لِلْخَبِيثِينَ مِنَ النَّاسِ ، وَالْخَبِيثُونَ مِنَ النَّاسِ لِلْخَبِيثَاتِ مِنَ الْقَوْلِ ، وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الْقَوْلِ لِلطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ ، وَالطَّيِّبُونَ مِنَ النَّاسِ لِلطَّيِّبَاتِ مِنَ الْقَوْلِ .

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : (وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ) قَالَ : الْخَبِيثَاتُ مِنَ الْقَوْلِ لِلْخَبِيثِينَ مِنَ النَّاسِ . عَنْ قَتَادَةَ : (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) يَقُولُ : الْخَبِيثَاتُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِلْخَبِيثِينَ مِنَ النَّاسِ ، وَالْخَبِيثُونَ مِنَ النَّاسِ لِلْخَبِيثَاتِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ .

عَنْ عَطَاءٍ ، قَالَ : (الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) قَالَ : الطَّيِّبَاتُ مِنَ الْقَوْلِ لِلطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ ، وَالطَّيِّبُونَ مِنَ النَّاسِ لِلطَّيِّبَاتِ مِنَ الْقَوْلِ ، وَالْخَبِيثَاتُ مِنَ الْقَوْلِ لِلْخَبِيثِينَ مِنَ النَّاسِ ، وَالْخَبِيثُونَ مِنَ النَّاسِ لِلْخَبِيثَاتِ مِنَ الْقَوْلِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ : الْخَبِيثَاتُ مِنَ النِّسَاءِ لِلْخَبِيثِينَ مِنَ الرِّجَالِ ، وَالْخَبِيثُونَ مِنَ الرِّجَالِ لِلْخَبِيثَاتِ مِنَ النِّسَاءِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ :

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) قَالَ : نَزَلَتْ فِي عَائِشَةَ حِينَ رَمَاهَا الْمُنَافِقُ بِالْبُهْتَانِ وَالْفَرِيَةِ ، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي هُوَ حَبِثٌ ، وَكَانَ هُوَ أَوْلَى بِأَنْ تَكُونَ لَهُ الْخَبِيثَةُ وَيَكُونَ لَهَا . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَيِّبًا ، وَكَانَ أَوْلَى أَنْ تَكُونَ لَهُ الطَّيِّبَةُ . وَكَانَتْ عَائِشَةُ الطَّيِّبَةُ ، وَكَانَ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ لَهَا الطَّيِّبُ . (أَوْلَيْكَ مُبْرَأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) قَالَ : هَاهُنَا بُرِّئَتْ عَائِشَةُ . (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) .

وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ آيَةِ قَوْلٍ مَنْ قَالَ : عَنِ الْخَبِيثَاتِ : الْخَبِيثَاتُ مِنَ الْقَوْلِ وَذَلِكَ قَبِيحُهُ وَسَيِّئُهُ لِلْخَبِيثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَالْخَبِيثُونَ مِنَ النَّاسِ لِلْخَبِيثَاتِ مِنَ الْقَوْلِ ؛ هُمْ بِهَا أَوْلَى ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُهَا . وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الْقَوْلِ وَذَلِكَ حَسَنُهُ وَجَمِيلُهُ لِلطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ ، وَالطَّيِّبُونَ مِنَ النَّاسِ لِلطَّيِّبَاتِ مِنَ الْقَوْلِ ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُهَا وَأَحَقُّ بِهَا .

وَإِنَّمَا قُلْنَا : هَذَا الْقَوْلُ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ آيَةِ ، لِأَنَّ الْآيَاتِ قَبْلَ ذَلِكَ إِنَّمَا جَاءَتْ بِتَوْيِخِ اللَّهِ لِلْقَائِلِينَ فِي عَائِشَةَ الْإِفْكَ ، وَالرَّامِينَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ، وَإِخْبَارِهِمْ مَا خَصَّهُمْ بِهِ عَلَى إِفْكِهِمْ ، فَكَانَ خَبَرُ الْخَبَرِ عَنْ أَوْلَى الْفَرِيقَيْنِ بِالْإِفْكِ مِنَ الرَّامِي وَالْمَرْمِي بِهِ أَشْبَهَ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ غَيْرِهِمْ .

وَقَوْلُهُ : (أَوْلَيْكَ مُبْرَأُونَ) يَقُولُ : الطَّيِّبُونَ مِنَ النَّاسِ مُبْرَأُونَ مِنْ خَبِيثَاتِ الْقَوْلِ ، إِنْ قَالُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَصْفَحُ لَهُمْ عَنْهَا ، وَيَغْفِرُهَا لَهُمْ ، وَإِنْ قِيلَتْ فِيهِمْ ضَرَّتْ قَائِلُهَا وَلَمْ تَضُرَّهُمْ ، كَمَا لَوْ قَالَ الطَّيِّبُ مِنَ الْقَوْلِ الْخَبِيثُ مِنْ

النَّاسِ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَتَقَبَّلُهُ ، وَلَوْ قِيلَتْ لَهُ لَصَرَّتْهُ ، لِأَنَّهُ يَلْحَقُهَا عَازُهَا فِي الدُّنْيَا ، وَذُلُّهَا فِي الْآخِرَةِ .

عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) فَمَنْ كَانَ طَيِّبًا فَهُوَ مُبَرِّأً مِنْ كُلِّ قَوْلٍ خَبِيثٍ ، يَقُولُ : يَغْفِرُهُ اللَّهُ ؛ وَمَنْ كَانَ خَبِيثًا فَهُوَ مُبَرِّأً مِنْ كُلِّ قَوْلٍ صَالِحٍ ، فَإِنَّهُ يَرُدُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ لَا يَقْبَلُهُ مِنْهُ .
وَقَدْ قِيلَ : عُنِيَ بِقَوْلِهِ : (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) عَائِشَةُ ، وَصَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ الَّذِي رُمِيَ بِهِ . فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ قِيلَ : (أُولَئِكَ) فَجَمَعَ ، وَالْمُرَادُ : ذَانِكَ ، كَمَا قِيلَ : (فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ) ، وَالْمُرَادُ أَخَوَانِ .
وَقَوْلُهُ : (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يَقُولُ : لَهُؤُلَاءِ الطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ لِدُنُوبِهِمْ ، وَالْخَبِيثِ مِنَ الْقَوْلِ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ (وَرَزَقَ كَرِيمٌ) يَقُولُ : وَلَهُمْ أَيْضًا مَعَ الْمَغْفِرَةِ عَطِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ كَرِيمَةٌ ، وَذَلِكَ الْجَنَّةُ ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْكَرَامَةِ .

عَنْ قَتَادَةَ : (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرَزَقَ كَرِيمٌ) مَغْفِرَةٌ لِدُنُوبِهِمْ ، وَرَزَقَ كَرِيمٌ فِي الْجَنَّةِ .

الأسرى الذين في قلوبهم خير

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنفال / ٧٠) .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (11 / ٢٨٤) :

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي يَدَيْكَ وَفِي أَيْدِي أَصْحَابِكَ أَخِذْ (إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا) يَقُولُ : إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ مِنْ أَسْرَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أُخِذَ مِنْهُمْ مِنَ الْفِدَاءِ مَا فِي قُلُوبِكُمْ إِسْلَامًا (يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ) مِنَ الْفِدَاءِ . (وَيَغْفِرَ لَكُمْ) يَقُولُ : وَيَصْفَحْ لَكُمْ عَنْ عُقُوبَةِ جُرْمِكُمُ الَّذِي اجْتَرَمْتُمُوهُ بِقِتَالِكُمْ نَبِيَّ اللَّهِ وَأَصْحَابَهُ وَكُفْرِكُمْ بِاللَّهِ . (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لِذُنُوبِ عِبَادِهِ إِذَا تَابُوا ، (رَحِيمٌ) بِهِمْ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ التَّوْبَةِ .

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / ٣٢٧) :

وهذه نزلت في أسارى يوم بدر ، وكان في جملتهم العباس عم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فلما طلب منه الفداء ، ادعى أنه مسلم قبل ذلك ، فلم يسقطوا عنه الفداء ، فأنزل الله تعالى جبراً لخاطره ومن كان على مثل حاله .

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ) أي : من المال ، بأن ييسر لكم من فضله ، خيراً وأكثر مما أخذ منكم .

(وَيَغْفِرَ لَكُمْ) ذنوبكم ، ويدخلكم الجنة وقد أنجز الله وعده للعباس وغيره ، فحصل له - بعد ذلك - من المال شيء كثير ، حتى إنه مرة لما قدم على النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مال كثير ، أتاه العباس فأمره أن يأخذ منه بثوبه ما يطيق حمله ، فأخذ منه ما كاد أن يعجز عن حمله .

الإنفاق في سبيل الله والعفو والصفح

(وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور / ٢٢) .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (17 / 224) :

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَلَا يَخْلِفْ بِاللَّهِ ذُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ ، يَعْنِي ذُوِي التَّفَضُّلِ وَالسَّعَةِ ؛ يَقُولُ : وَذُوُو الْجِدَّةِ .
وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَلْفِهِ بِاللَّهِ ، لَا يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ :
وَلَا يَخْلِفُ مَنْ كَانَ ذَا فَضْلٍ مِنْ مَالٍ وَسَعَةٍ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، أَلَّا يُعْطُوا ذُوِي قَرَابَتِهِمْ فَيَصِلُوا بِهِ
أَرْحَامَهُمْ ، كَمِسْطَحٍ ، وَهُوَ ابْنُ خَالَةِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - (وَالْمَسَاكِينَ) يَقُولُ : وَذُوِي خَلَّةِ الْحَاجَةِ ،
وَكَانَ مِسْطَحٌ مِنْهُمْ ، لِأَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا مُحْتَاجًا . (وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وَهُمْ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، وَكَانَ مِسْطَحٌ مِنْهُمْ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَدْرًا (وَلْيَعْفُوا) يَقُولُ : وَلْيَعْفُوا عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ جُرْمٍ ، وَذَلِكَ كَجُرْمِ
مِسْطَحٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي إِشَاعَتِهِ عَلَى ابْنَتِهِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَا أَشَاعَ مِنَ الْإِفْكِ
(وَلْيَصْفَحُوا) يَقُولُ : وَلْيَتْرَكُوا عُقُوبَتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِحُرْمَانِهِمْ مَا كَانُوا يُؤْتُونَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لِيَعُودُوا لَهُمْ إِلَى
مِثْلِ الَّذِي كَانُوا لَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ . (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) يَقُولُ : أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَسْتُرَ اللَّهُ
عَلَيْكُمْ ذُنُوبَكُمْ بِإِفْضَالِكُمْ عَلَيْهِمْ ، فَيَتْرَكَ عُقُوبَتَكُمْ عَلَيْهَا . (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لِدُنُوبٍ مِنْ أَطَاعِهِ ، وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ ،
(رَحِيمٌ) رَحِيمٌ بِهِمْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ مَعَ اتِّبَاعِهِمْ أَمْرَهُ ، وَطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ ، عَلَى مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ زَلَّةٍ وَهَفْوَةٍ قَدْ اسْتَغْفَرُوهُ
مِنْهَا ، وَتَابُوا إِلَيْهِ مِنْ فِعْلِهَا .

قال ابن كثير في تفسيره (٦ / ٣١) :

قوله : (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أي : فإن الجزاء من جنس العمل ، فكما تغفر عن
المدنّب إليك تغفر لك ، وكما تصفح نصفحك عنك .

ثانيًا

الموعودون بالمغفرة

في السنة المطهرة

الذي يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن

١- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ، يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى قَلْبٍ مُوقِنٍ ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ."
تحقيق الألباني :

حسن صحيح ، الصحيحة (٢٢٧٨) (صحيح ابن ماجه / ٣٧٩٦) .

الذي لا يُشرك بالله

٢ - عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
 " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ
 وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا ^(١) تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ^(٢) وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ^(٣) وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ
 هَرْوَلَةً ^(٤) *) وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابٍ ^(٥) الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً " . (م / ٧٠٠٩) .

(١) شَبْرًا : الشبر ما بين طرفي الخنصر والإبهام بالتفريح المعتاد .

(٢) ذِرَاعًا : الذراع ، بالكسر : من طَرَفِ المَرْفَقِ إِلَى طَرَفِ الإصْبَعِ الوُسْطَى ، كذا في المُحْكَم . قال الليث : الذراعُ والساعدُ واحدٌ ، وقيل الذراع : بالكسر اسم لما يذرع به وهو الخشبة المعروفة والذراع الشرعي الذي يعتبر في الحياض وغيرها وهو أربعة وعشرون اصبعًا مضمومة سوى الإبهام بعدد حروف الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله كل اصبع ستة شعيرات مضمومة ظهور بعضها إلى بطون بعض وهذا هو الذراع الجديد . وأما الذراع القديم فاثنتان وثلاثون اصبعًا وقيل هذا هو الهاشمي . والقديم هو سبعة وعشرون اصبعًا .

(٣) الباعُ : قَالَ أَبُو خَاتِمٍ هُوَ مُدَّخَرٌ يَقَالُ هَذَا بَاعٌ وَهُوَ مَسَافَةٌ مَا بَيْنَ الْكُفَّيْنِ إِذَا بَسَطْتَهُمَا يَمِينًا وَشِمَالًا ، الباعُ : قَدْرُ مَدِّ اليَدَيْنِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْبَدَنِ (تاج العروس) .

(٤) هَرْوَلَةً : لغة : قَالَ فِي النَّهَائَةِ : هِيَ بَيْنُ الْمَشْيِ وَالْعُدُوِّ ، والهرولة : الإسراع ونوع من العدو ، قال الشيخ علي بن عبد العزيز بن علي الشبل في كتابه النفس (النتيبه على المخالقات العقيدية في فتح الباري) : قال الحافظ ٥٢٢/١٣ : قوله : (ذراعًا تقربت منه باعًا ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة) . لم يقع " وإذا أتاني . . . " إلخ في رواية الطيالسي ، قال ابن بطلان : وصف سبحانه نفسه بأنه يتقرب إلى عبده ، ووصف العبد بالتقرب إليه ، ووصفه بالإتيان والهرولة كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز ، فحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات وتداني الأجسام وذلك في حقه تعالى محال ، فلما استحالت الحقيقة تعين المجاز لشهرته في كلام العرب ، فيكون وصف العبد بالتقرب إليه شبرًا وذراعًا وإتيانه ومشيه معناه التقرب إليه بطاعته وأداء مفترضاته ونوافله ، ويكون تقربه سبحانه من عبده وإتيانه والمشي عبارة عن إثابته على طاعته وتقربه من رحمته ، ويكون قوله : أتيته هرولة أي أتاه ثوابي مسرعًا . فإن المراد به قرب الرتبة وتوفير الكرامة . والهرولة كناية عن سرعة الرحمة إليه ورضا الله عن العبد وتضعيف الأجر ، قال : والهرولة ضرب من المشي السريع وهي دون العدو ، وقال صاحب المشارق : المراد بما جاء في هذا الحديث سرعة قبول توبة الله للعبد أو تيسير طاعته وتقويته عليها وتمايم هدايته وتوقيفه ، والله أعلم بمراده " اهـ .

تعليق : الواجب إثبات ذلك كله على الحقيقة اللاحقة بالله عز وجل ، وقطع الاستشراف في التنطع في صورها وكيفياتها ، فنؤمن بما جاء عن الله من صفات الله على مراد الله ، وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فنؤمن بقرب الله ودنوه من عبده مع علوه فوق سماواته ، ونكل حقيقته إلى عالمه سبحانه ؛ لأن عقولنا تقصر عن إدراك ذلك ، بل تحار فيما فيما دون ذلك ، والله أعلم .

والواجب في هذا وأمثاله الإيمان بذلك وإثباته بلا تمثيل ولا تشبيه ، وتنزيه الله عن مشابهة خلقه في كل شيء ؛ لأنه سبحانه أعلم بنفسه وأعلم بصفاته ، ولا يجوز لأحد أن يعطلها بسبب فهمه السيء ، والله ولي التوفيق .

(٥) فائدة مهمة : قال الشيخ علي بن عبد العزيز بن علي الشبل في كتابه النفس (النتيبه على المخالقات العقيدية في فتح الباري) قوله : (تقرب مني شبرًا ، تقربت منه ذراعًا ، وإذا تقرب مني ذراعًا ، تقربت منه باعًا ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة) هذه كلها من الصفات التي تمر ، كما جاءت من غير تفسير لمعنى الكيفية ؛ ولهذا قال السلف - يرحمهم الله - : أَمْزَوْهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ ، فهي تثبت لله - عز وجل - على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تكيف لمعناها ، وآثارها أن الله - تعالى - أسرع بالخير من العبد ، وأن الله - تعالى - لا يقطع الثواب عن العبد ، حتى يكون العبد هو الذي يقطع العمل . وأخطأ من قال : إن هذه الصفات الواردة في الحديث هي على سبيل المجاز ، على الله ، أو على وجه المشاكلة ، أو على وجه الاستعارة ، أو إرادة لوازمها ، فكل هذا غلط ، فالصواب أنها تطلق على الله كما أطلقها الله على نفسه على لسان رسوله ، وهو أعلم الخلق بالله ، تعالى . قال تعالى : (قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ) وفي الحديث أن المطيع متقرب إلى الله - عز وجل - فالعابد ، والساكن أقرب إلى الله من غيرهم ؛ ولهذا جاء في الحديث : " أقرب ما يكون العبد من ربه ، وهو ساجد " ولما ارتفعت أصوات الصحابة بالتكبير في بعض الغزوات ، كما في حديث أبي موسى الأشعري ، قال لهم الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا ، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته " اربعوا : أي ارفقوا ، وقال تعالى : (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) فالساجد مقرب من الله - تعالى - بالطاعة .

قال الحافظ (٤٩٣/١٣) : وقد أزال العلماء إشكاله ؛ فقال القاضي عياض في الشفاء : إضافة الدنو والقرب إلى الله تعالى أو من الله ليس دنو مكان ولا قرب زمان ، وإنما هو بالنسبة إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إبانة لعظيم منزلته وشراف رتبته ، وبالنسبة إلى الله عز وجل تأنيس لبيبه وإكرام له ، ويتأول فيه ما قاله في حديث : " ينزل ربنا إلى السماء " ، وكذا في حديث : " من تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا " ، وقال غيره : الدنو مجاز عن القرب المعنوي لإظهار عظيم منزلته عند ربه تعالى اهـ .

تعليق : ما نقله الحافظ عن القاضي عياض وغيره ليس بجيد ، والصواب الإيمان بدنو الله وقربه ، وهما من صفات أفعاله سبحانه التي يفعلها متى شاء كيفما شاء على ما يليق به سبحانه . والدنو والتدلي في آية النجم يُعَارَى ما هاهنا ، لأنه دنو ذلك المعلم الشديد القوي وهو جبريل كما يدل عليه السياق والأحاديث الصحيحة ، وما روي عن بعض الصحابة كعائشة وابن مسعود وغيرهما - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - ، والله أعلم .

(٥) بِقُرَابِ الْأَرْضِ : هُوَ بِضَمِّ الْقَافِ عَلَى الْمَشْهُورِ ، وَهُوَ مَا يُقَارِبُ مِثْلَهَا وَخَكِي كَسْرُ الْقَافِ ، نَقْلُهُ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . أي بمثلها وقدرها . مأخوذ من القرب . وقال الجزري في النهاية : أي بما يقارب مألها وهو مصدر قارب يقارب .

الذي يؤمن بالله وبكتابه

٣- عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ وَبِيَدِهِ عُودٌ يَنْكُثُ بِهِ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : " تَعُودُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا . "

زاد في رواية وقال : " إِنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ : يَا هَذَا مَنْ رُبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ " . (صحيح)

وفي رواية " وَبَيَّاتِهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رُبُّكَ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ . فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ فَيَقُولُ : دِينِي الْإِسْلَامُ . فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . فَيَقُولَانِ : وَمَا يُدْرِيكَ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ وَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَقْتُ " . (صحيح) ورواه أحمد بإسناد رواه محتج بهم في الصحيح أطول من هذا ولفظه قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرَ مِثْلَهُ إِلَى أَنْ قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : " اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ ^(١) مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، وَيَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ . قَالَ : فَتَخْرُجُ فَتَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ ^(٢) ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذَهَا ، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأُطْيَبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجَدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَالَ : فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، إِلَّا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلَانٌ بْنُ فُلَانٍ ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يَنْتَهِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا ، حَتَّى يُنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فِي جَسَدِهِ ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولَانِ : مَنْ رُبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، فَيَقُولَانِ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَيَقُولَانِ : مَا يُدْرِيكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ ، وَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَقْتُهُ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ . قَالَ : فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا ، وَطَيِّبِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ . قَالَ : وَبَيَّاتِهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوُجْهِ ، حَسَنُ الْكِيَابِ ، طَيِّبُ الرَّيْحِ ، فَيَقُولُ : أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ ، فَيَقُولُ :

(١) حنوط : كل طيب يخلط للميت خاصة .

(٢) فِي السَّقَاءِ : أَيُّ مِنْ قِمِّ الْقَرْيَةِ .

رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي ، وَمَالِي . قَالَ : وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةُ سُودُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ ، ^(١) فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ ، أَخْرَجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَعَظَبٍ . فَتَفَرِّقُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يَنْتَزِعُ السَّفُودُ ^(٢) مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ ، وَتَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّهَا جِيفَةٌ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَالٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، إِلَّا قَالُوا : مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلَانٌ بُنُ فُلَانٍ بِأَفْجَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ ، فَلَا يَفْتَحُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) (الأعراف / ٤٠) فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينٍ ^(٣) فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى ، ثُمَّ تُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا . ثُمَّ قَرَأَ : (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) (الحج / ٣١) (فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيَجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي ، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا ، وَسَمُومِهَا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ ، قَبِيحُ الثِّيَابِ ، مُنْتِنُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الْقَبِيحُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ " . (صحيح) وفي رواية له بمعناه وزاد : " فَيَأْتِيهِ آتٍ قَبِيحُ الْوَجْهِ ، قَبِيحُ الثِّيَابِ ، مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ : أَبَشِّرْ بِهِوَانٍ مِنَ اللَّهِ ، وَعَذَابٍ مُقِيمٍ ، فَيَقُولُ : بَشِّرْكَ اللَّهُ بِالشَّرِّ مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ ، كُنْتُ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَجَزَاكَ بِشَرِّ ، ثُمَّ يَقْبِضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مَرْزَبَةٌ ^(٤) ، لَوْ ضَرَبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ ثَرَابًا ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ ثَرَابًا ، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ " . قال البراء : ثم يفتح له باب من النار ويمهد له من فرش النار . (صحيح) . (صحيح الترغيب / ٣٥٥٨) .

(١) المسوح : يضم الميم جمع المسح بكسرها وهو واللباس الخشن .

(٢) السفود : وهو الحديد الذي يشوي بها اللحم فيبقى معها بقية من المحروق فيستصحب عند الجذب شيئاً من ذلك الصوف .

(٣) سجين : فعل من السجن وقيل حجر تحت الأرض السابعة .

(٤) مرزبة : قال في النهاية : المرزبة بالتحفيف المطرقة الكبيرة التي تكون للحديد ويُقال لها الأرزبة بالهمزة والتشديد .

من لقي الله لا يشرك به شيئاً ، يصلي الصلوات الخمس و يصوم رمضان

٤ - عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :

" مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ غُفِرَ لَهُ "

قُلْتُ : أَفَلَا أُبَشِّرُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " دَعَهُمْ يَعْمَلُوا " .

قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٣ / ١٣١٥ :

أخرجه الإمام أحمد (٥ / ٢٣٢)

الذي يُحَسِّنُ الْوُضُوءَ وَيُصَلِّي بِخُشُوعٍ

٥- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحَسِّنُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُومُ فَيَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَغُفِرَ لَهُ . "

قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٨٠٢ في صحيح الجامع . (حم د ح ب) .

٦- عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :

" مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يَسْهُو ^(١) فِيهِمَا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . "

(صحيح أبي داود / ٩٠٥) .

٧- عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَظْنُهُ عَنْ عَاصِمِ بْنِ سُفْيَانَ الثَّقَفِيِّ ، أَنَّهُمْ غَزَوْا غَزْوَةَ السَّلَاسِلِ ، فَفَاتَهُمُ الْغَزْوُ ،

فَرَابَطُوا ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَعِنْدَهُ أَبُو أَيُّوبَ ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فَقَالَ عَاصِمٌ : يَا أَبَا

أَيُّوبَ ، فَاتَنَا الْغَزْوُ الْعَامَ ، وَقَدْ أَخْبَرْنَا أَنَّهُ مَنْ صَلَّى فِي الْمَسَاجِدِ الْأَرْبَعَةِ ، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ،

أَذْلَكَ عَلَى أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :

" مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ ، وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ ^(٢) ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ " ، أَكْذَلِكَ يَا عُقْبَةُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

(صحيح ابن ماجه / ١٣٩) .

(١) (لا يسهو فيهما) : أي لا يغفل فيهما قال الطيبي : أي يكون حاضر القلب أو يعبد الله كأنه يراه . كذا في المِرْقَاة فُلْتُ : رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ ، أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ دَعَا يَنَاءً فَأَفْرَغَ عَلَى كَفْيَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتِ الْحَدِيثِ . وَفِيهِ ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يَحْدَثُ فِيهِمَا نَفْسُهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " فَلَوْ أَرِيدَ بِقَوْلِهِ : " لا يسهو فيهما " أي : لا يحدث فيهما نفسه لَكَانَ أَوَّلَى . وَالْأَحَادِيثُ يُفَسِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ مُطَابَقَةُ الْحَدِيثِ أَتَمَّ ظُهُورَ . قَالَ التَّوَوِّي : الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ لَا يَحْدَثُ فِيهِمَا نَفْسُهُ أَيُّ لَا يَحْدَثُ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمَا لَا يَتَعَلَّقُ بِالصَّلَاةِ ، وَلَوْ عَرَضَ لَهُ حَدِيثٌ فَأَعْرَضَ عَنْهُ لِمَجَرَّدِ غُرُوضِهِ غُفِيَ عَنْهُ ذَلِكَ وَخَصَلَتْ لَهُ هَذِهِ الْفَضِيلَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِ وَقَدْ غُفِيَ لَهُدِهِ الْأُمَّةُ عَنِ الْخَوَاطِرِ الَّتِي تَعْرِضُ وَلَا تَسْتَقِرُّ . (انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي) (٣ / ١٧٣) .

و (قال عبد المحسن العباد في شرح سنن أبي داود) (٥ / ٢٥٠) : المقصود أن الإنسان يقلل على صلاته ، ويستحضر ما هو مطلوب فيها ، ويبعد نفسه عن أن يتحدث بشيء من أمور الدنيا ، أو من أمور الدين المتعلقة بغير الصلاة ، مثل : كون الإنسان يفكر في مسائل العلم وهو يصلي ، فهذا لا يجوز ؛ لأن هذا من حديث النفس . فالإنسان عليه أن يقبل على صلاته ، ولا يشتغل فيها لا في أمر دنيا ولا في أمر دين . وأورد أبو داود حديث زيد بن خالد الجهني - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : (من تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يَسْهُو فِيهِمَا) يعني : لا يحدث نفسه فيهما ، بل يكون مقبلاً على صلاته ، (غفر له ما تقدم من ذنبه) يعني : أنها تغفر له الصغائر ، وأما الكبائر فإنه لا بد فيها من التوبة حتى تغفر ، وإنما الذي يغفر بالأعمال الصالحة وبالأعمال الطيبة هي الصغائر ، كما جاء ذلك عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في قوله : (الجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر) يعني : لا بد من اجتناب الكبائر ، وأما كون الإنسان يرتكب الكبيرة ولم يتب منها فلا تكفرها تلك الأعمال ، وإنما تكفرها التوبة والخوف والندم ، والله عز وجل يقول : (إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) (النساء : ٣١) .

(٢) (من تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ) : قال المناوي في (فيض القدير شرح الجامع الصغير) : (من تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ) بالبناء للمفعول أي كما أمره الله من استيعاب الشروط والفروض (وصلى كما أمر) كذلك (غفر له ما تقدم من عمل) أي من عمل السيئات والمراد الصغائر بقرينة قوله في الخبر المار ما اجتنبت الكبائر والمراد الصلاة المفروضة بدليل الخبر المذكور ، وفيه دليل على فضل الوضوء وأنه مكفر للذنوب وعلى شرف الصلاة عقبه وأن السعادة الواحدة قد يرجى منها غفران ما تقدم من الذنوب وأن الثواب من كرم الله إذ العبد لا يستحق بصلاته مغفرة ذنوب كثيرة ولو كان ذلك على حكم محض الجزاء وتقدير الثواب بالفعل لكانت العبادة الواحدة تكفر السيئة الواحدة فلما كفرت ذنوباً كثيرة عرف أن المغفرة من الكريم بفضل الميم وليست على حكم المقابلة ولا على قضية المعاوضة .

٨ - عن مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ ابْنَ أَبَانَ أَخْبَرَهُ قَالَ : أَتَيْتُ عُثْمَانَ بِطَهْوَرٍ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى الْمَقَاعِدِ فَتَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَوَضَّأَ وَهُوَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ :

" مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " قَالَ : وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " لَا تَغْتَرُّوا " . (خ / ٦٤٣٣) .

٩ - عن حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - دَعَا بِإِنَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى كَفِّهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ فَعَسَلَهُمَا ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مِرَارٍ ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ ^(١) غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " . (خ / ١٥٩) . واللفظ له ، (م / ٥٦٠) .

١٠ - عَنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ تَوَضَّأَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَوْمًا وَضُوءًا حَسَنًا ثُمَّ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ :

" مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يَنْهَرُهُ ^(٢) . إِلَّا الصَّلَاةُ غُفِرَ لَهُ مَا خَلَا مِنْ ذَنْبِهِ " . (م / ٥٧٠) .

(١) (لا يحدث فيهما) : قال بدر الدين العيني الحنفي في (عمدة القاري ٤ / ٢٠٧) :

قوله : (لا يحدث فيهما) : أي في الركعتين قال القاضي عياض : يؤيد بحديث النفس الحديث المجتلب والمكسب وأما ما يقع في الخاطر غالبًا فليس هو المراد وقال بعضهم هذا الذي يكون من غيره قصد يرجي أن تقبل معه الصلاة ويكون دون صلاة من لم يحدث نفسه بشيء لأن النبي إنما ضمن الغفران لمراعي ذلك لأنه قل من تسلم صلاته من حديث النفس وإنما حصلت له هذه المرتبة لمجاهدة نفسه من خطرات الشيطان ونفسيها عنه ومحافظة عليها حتى لا يشتغل عنها طرفة عين وسلم من الشيطان باجتهاده وتفريغه قلبه قيل ويحتمل أن يكون المراد به إخلاص العمل لله تعالى ولا يكون لطلب الجاه وان يراد ترك العجب بأن لا يرى لنفسه منزلة رفيعة بأدائها بل ينبغي أن يحقر نفسه كي لا تغتر فتكبر ويقال إن كان المراد به أن لا يخطر بباله شيء من أمور الدنيا فذلك صعب وإن كان المراد به أنه بعد خطوره به لا يستمر عليه فهو عمل المخلصين ، قلت : التحقيق فيه أن حديث النفس قسمان ١ - ما يهجم عليها ويتعذر دفعها ٢ - وما يسترسل معها ويمكن قطعه : فيحمل الحديث عليه دون الأول لعسر اعتباره ، وقوله : يحدث من باب التفعيل وهو يقتضي التكسب من أحاديث النفس ودفع هذا ممكن وأما ما يهجم من الخطرات والوساوس فإنه يتعذر دفعه فيعفى عنه ، ونقل القاضي عياض عن بعضهم بأن المراد من لم يحصل له حديث النفس أصلًا ورأسًا ، ورده النووي فقال : الصواب حصول هذه الفضيلة مع طريان الخواطر العارضة غيره المستقرة ثم حديث النفس يعم الخواطر الدنيوية والأخروية والحديث محمول على المتعلق بالدنيا فقط وقد جاء في رواية في هذا الحديث ذكره الحكيم الترمذي في كتاب الصلاة تأليفه لا يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا ثم دعا إليه إلا استجيب له انتهى ، فإذا حدث نفسه فيما يتعلق بأمور الآخرة كالفكر في معاني المتلو من القرآن العزيز والمذكور من الدعوات والأذكار أو في أمر محمود أو مندوب إليه لا يضر ذلك ، وقد ورد عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال لأجهز الجيش وأنا في الصلاة أو كما قال . وقال النووي في شرح صحيح مسلم (١ / ٣٧٣) :

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ) ، فَالْمُرَادُ لَا يُحَدِّثُ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمَا لَا يَتَعَلَّقُ بِالصَّلَاةِ ، وَلَوْ عَرِضَ لَهُ حَدِيثٌ فَأَعْرَضَ عَنْهُ بِمَجَرَّدِ غُرُوضِهِ غُفِيَ عَنْ ذَلِكَ وَحَصَلَتْ لَهُ هَذِهِ الْفَضِيلَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ؛ لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِ ، وَقَدْ غُفِيَ لَهُذِهِ الْأُمَّةُ عَنْ الْخَوَاطِرِ الَّتِي تَعْرِضُ وَلَا تَسْتَقِرُّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(٢) (لَا يَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ) : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا يَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ) هُوَ يَفْتَحُ الْبَاءَ وَالْهَاءَ وَاسْكَانَ التَّوْنِ بَيْنَهُمَا ، وَمَعْنَاهُ لَا يَدْفَعُهُ وَيَنْهَرُهُ وَيُحَرِّكُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ . قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : نَهَرَتِ الرَّجُلَ أَنْهَرَهُ إِذَا دَفَعْتَهُ ، وَنَهَرَ رَأْسَهُ أَيْ حَرَّكَهَا ، قَالَ صَاحِبُ الْمَطَالِعِ : وَضَيْطُهُ بَعْضُهُمْ (يُنْهَرُهُ) بِضَمِّ الْبَاءِ وَهُوَ خَطَأٌ ، ثُمَّ قَالَ : وَقِيلَ : هِيَ لَفَةٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ : الْحَثُّ عَلَى الْإِخْلَاصِ فِي الطَّاعَاتِ ، وَأَنْ تَكُونَ مُتَمَحِّضَةً لِلَّهِ تَعَالَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

١١ - عَنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِوُضُوءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ إِنَّ نَاسًا يَتَحَدَّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَحَادِيثَ لَا أَدْرِي مَا هِيَ إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوءِي هَذَا ثُمَّ قَالَ :

" مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً " . (م / ٥٦٦) .

١٢ - عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :
" مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعًا يُحْسِنُ فِيهِنَّ الذِّكْرَ وَالْخُشُوعَ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ غُفْرًا لَهُ " . رواه أحمد بإسناد حسن

قال الشيخ الألباني : (حسن) (صحيح الترغيب والترهيب / ٢٣٠) .

١٣ - عَنْ حُمْرَانَ فَلَمَّا تَوَضَّأَ عُثْمَانُ قَالَ أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا لَوْلَا آيَةُ مَا حَدَّثْتُكُمْوهُ ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : " لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ وَيُصَلِّي الصَّلَاةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ حَتَّى يُصَلِّيَهَا " . (خ / ١٦٠) .

١٤ - عَنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :

" مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ فَاسْبَغَ ^(١) الْوُضُوءَ ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فَصَلَّاهَا مَعَ النَّاسِ أَوْ مَعَ الْجَمَاعَةِ أَوْ فِي الْمَسْجِدِ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبُهُ " . (م / ٥٧١) .

١٥ - عَنْ الْحَارِثِ ، مَوْلَى عُثْمَانَ ، قَالَ : جَلَسَ عُثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَوْمًا ، وَجَلَسْنَا مَعَهُ فَبَجَاءَ الْمُؤَدِّنُ فَدَعَا بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ - أَظْنُهُ يَكُونُ فِيهِ مِدٌّ - فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَوَضَّأُ وُضُوءِي هَذَا ، ثُمَّ قَالَ : " وَمَنْ تَوَضَّأَ وُضُوءِي ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي صَلَاةَ الظُّهْرِ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصُّبْحِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الظُّهْرِ ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعَصْرِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ لَعَلَّهُ يَبِيتَ يَتَمَرَّغُ لَيْلَتَهُ ، ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى الصُّبْحَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، وَهِنَّ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ " قَالُوا : هَذِهِ الْحَسَنَاتُ ، فَمَا الْبَاقِيَاتُ يَا عُثْمَانُ ؟ قَالَ : هُنَّ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

رواه أحمد بإسناد حسن وأبو يعلى والبخاري (صحيح الترغيب والترهيب / ٣٦٦) .

(١) فَاَسْبَغَ : الاسباغ في اللغة الإتمام ومنه درع سابغ ، وقيل : أن يكون مُشْتَمِلًا عَلَى فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ .

١٦- عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ حَضَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ الْمَوْتُ فَقَالَ إِنِّي مُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا مَا أُحَدِّثُكُمْوهُ إِلَّا احْتِسَابًا ^(١) سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :

" إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ لَمْ يَرْفَعْ قَدَمَهُ الْيُمْنَى إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ حَسَنَةً وَلَمْ يَضَعْ قَدَمَهُ الْبُسْرَى إِلَّا حَطَّ ^(٢) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ سَيِّئَةً فَلْيُقَرِّبْ أَحَدُكُمْ أَوْ لِيُبْعِدْ فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى فِي جَمَاعَةٍ غُفِرَ لَهُ فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّوْا بَعْضًا وَبَقِيَ بَعْضٌ صَلَّى مَا أَدْرَكَ وَأَتَمَّ مَا بَقِيَ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّوْا فَأَتَمَّ الصَّلَاةَ كَانَ كَذَلِكَ " .

(صحيح أبي داود / ٥٦٣) .

(١) قوله : (احتسابًا) : يريد بذلك يحتسب الثواب على الله .

(٢) إِلَّا حَطَّ اللَّهُ : أي إِلَّا وَضَعَ اللَّهُ وَمَحَا وَأَلْقَى أي أسقطها .

الذي يُؤذّن

١٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :
" الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ ^(١) وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ وَشَاهِدُ الصَّلَاةِ يُكْتَبُ لَهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ حَسَنَةً
وَيُكَفَّرُ عَنْهُ مَا بَيْنَهُمَا " .

تحقيق الألباني :

حسن صحيح ، المشكاة (٦٦٧) ، صحيح أبي داود (٥٢٨) (صحيح ابن ماجه / ٧٢٤)
١٨ - عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ ^(٢) ، وَالْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ بِمَدَى صَوْتِهِ وَيُصَدَّقُ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ رَطْبٍ
وَيَابِسٍ ، وَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّى مَعَهُ " .

تحقيق الألباني :

صحيح ، ابن ماجه (٩٩٧) // ، صحيح الترغيب والترهيب (١ / ١٧٢) ، المشكاة (١١٠١) //
(صحيح النسائي / ٦٤٦) .

(١) قَالَ صَاحِبُ غَوْثِ الْمُعْبُودِ : (مَدَى صَوْتِهِ) : بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالذَّالِ . قَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي مَعَالِمِ السُّنَنِ وَابْنُ الْأَثِيرِ فِي النَّهَائَةِ : مَدَى الشَّيْءِ غَايَتُهُ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ يَسْتَكْمِلُ مَغْفِرَةَ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا اسْتَوْفَى وَسُعِهِ فِي رَفْعِ الصَّوْتِ فَيَبْلُغُ الْغَايَةَ مِنَ الْمَغْفِرَةِ إِذَا بَلَغَ الْغَايَةَ مِنَ الصَّوْتِ . وَقِيلَ فِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ : وَهُوَ أَنَّهُ كَلَامٌ تَمَثِيلٌ وَتَشْبِيهٌ يُرِيدُ أَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ الصَّوْتُ لَوْ يَقْدَرُ أَنْ يَكُونَ مَا بَيْنَ أَقْصَاهُ وَبَيْنَ مَقَامِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ذُنُوبٌ تَمَلَأُ تِلْكَ الْمَسَافَةَ غَفَرَهَا اللَّهُ لَهُ إِنَّتَهُ . وَقَالَ فِي الْمِرْقَاةِ : قِيلَ : مَعْنَاهُ أَيُّ لَهُ مَغْفِرَةٌ طَوِيلَةٌ عَرِيضَةٌ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ أَيُّ يَسْتَكْمِلُ مَغْفِرَةَ اللَّهِ إِذَا اسْتَوْفَى وَسُعِهِ فِي رَفْعِ الصَّوْتِ . وَقِيلَ : يَغْفَرُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ بِحَيْثُ لَوْ فُرِضَتْ أَجْسَامًا لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَ الْجَوَابِ الَّذِي يَبْلُغُهَا . وَالْمَدَى عَلَى الْأَوَّلِ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ وَعَلَى الثَّانِي رُفْعٌ عَلَى أَنَّهُ أَقِيمَ مَقَامَ الْفَاعِلِ ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ يُغْفَرُ لِأَجْلِهِ كُلُّ مَنْ سَمِعَ صَوْتَهُ فَحَضَرَ لِلصَّلَاةِ الْمُسَبِّبَةَ لِيَدَايِهِ فَكَأَنَّهُ غُفِرَ لِأَجْلِهِ ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ : يَغْفَرُ ذُنُوبَهُ الَّتِي بَاشَرَهَا فِي تِلْكَ التَّوَاجِيهِ إِلَى حَيْثُ يَبْلُغُ صَوْتَهُ ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ : يَغْفَرُ بِشَفَاعَتِهِ ذُنُوبَ مَنْ كَانَ سَاكِنًا أَوْ مُقِيمًا إِلَى حَيْثُ يَبْلُغُ صَوْتَهُ ، وَقِيلَ : يَغْفَرُ بِمَعْنَى يَسْتَغْفِرُ أَيُّ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ صَوْتَهُ إِنَّتَهُ .

قال ابن رجب في فتح الباري له (٣ / ٣٤٦) : وأما قوله : " يغفر له مدى صوته " . فقيل : معناه : لو كانت ذنوبه أجسامًا لغفر له منها قدر ما يملأ المسافة التي بينه وبين منتهى صوته . وقيل : معناه : تمتد له الرحمة بقدر مد الأذان .

(٢) على الصف المقدم : قال السندي : أي على الصف المقدم في كل مسجد ، أو في كل جماعة ، فالجمع باعتبار تعدد المساجد أو تعدد الجماعات ، أو المراد الصفوف المتقدمة على الصف الأخير ، فالصلاة من الله تعالى تشمل كل صف على حسب تقدمه إلا الأخير فلاحظ له منها لفوات التقدم .

الذي يقول هذا الذكر حين يسمع المؤذن

١٩ - عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ :
" مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَضِيتُ بِاللَّهِ
رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا . غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ " . (م / ٨٧٧) .

الذي يصلي خمس صلوات في اليوم و يحسن وضوئهن و خشوعهن

- ٢٠ - عَنْ عَبْدِ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ أَشْهَدُ أَنَّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : " خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ أَحْسَنَ وَضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لَوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ " .
- قال الشيخ الألباني : (صحيح) (صحيح أبي داود / ٤٢٥) .

الذي يصلي الصلوات الخمس

٢١ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ :
 " يُبْعَثُ مُنَادٍ عِنْدَ حَضْرَةِ كُلِّ صَلَاةٍ ، فَيَقُولُ : يَا بَنِي آدَمَ ، قُومُوا فَأَطْفِئُوا مَا أَوْقَدْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَيَقُومُونَ
 فَيَتَطَهَّرُونَ ، وَيُصَلُّونَ الظُّهْرَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ مَا بَيْنَهُمَا ، فَإِذَا حَضَرَتِ الْعَصْرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ ، فَإِذَا حَضَرَتِ الْمَغْرِبُ فَمِثْلُ
 ذَلِكَ ، فَإِذَا حَضَرَتِ الْعَتَمَةُ فَمِثْلُ ذَلِكَ ، فَيَنَامُونَ فَمُدْلِجٌ ^(٢) فِي خَيْرٍ ، وَمُدْلِجٌ فِي شَرٍّ " .
 رواه الطبراني في الكبير

قال الشيخ الألباني : (حسن) (صحيح الترغيب والترهيب / ٣٥٩) .

٢٢ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :
 " الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
 " أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَعْتَمِلُ ^(٣) وَكَانَ بَيْنَ مَنْزِلِهِ وَمُعْتَمَلِهِ خَمْسَةُ أَنْهَارٍ ، فَإِذَا أَتَى مُعْتَمَلَهُ عَمِلَ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ
 ، فَأَصَابَهُ الْوَسْخُ أَوْ الْعَرَقُ ، فَكُلَّمَا مَرَّ بِنَهْرٍ اغْتَسَلَ ، مَا كَانَ ذَلِكَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ ، فَكَذَلِكَ الصَّلَوَاتُ ، كُلَّمَا عَمِلَ
 خَطِيئَةً فِدَعَا وَاسْتَغْفَرَ ، غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ قَبْلَهَا " .

رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير بإسناد لا بأس به وشواهده كثيرة

قال الشيخ الألباني : (صحيح لغيره) (صحيح الترغيب والترهيب / ٣٥٥) .

٢٣ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَاءَهُ رَجُلٌ
 فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمُّهُ عَلَيَّ قَالَ :
 " وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ قَالَ : وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ - صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصَّلَاةَ قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ :
 " أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا " قَالَ : نَعَمْ قَالَ : " فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ ، أَوْ قَالَ حَدَّكَ " .
 (خ / ٦٨٢٣) .

(١) العتمة : المقصود : صلاة العشاء ، (في لسان العرب) : العتمة ثلث الليل الأول بعد غيوبة الشفق أغتم الرجل صار في ذلك الوقت ويقال أغتمنا من العتمة كما يقال
 أصبنا من الصبح وأغتم القوم وعتموا تغيمًا ساروا في ذلك الوقت أو أوردوا أو أصدروا أو عملوا أي عمل كان وقيل العتمة وقت صلاة العشاء الأخيرة سميت بذلك لاستغنام
 نعيمها وقيل لتأخر وقتها .

صلاة (العتمة) : العشاء وسميت باسم وقتها لأنهم يعتمون فيها بحلاب الإبل ولعل هذا قبل نهيه عن تسميتها به .

وكانت الأغراب يُسمون صلاة العشاء صلاة العتمة تسمية بالوقت فتهاهم عن الافتداء بهم واستحب لهم التمسك بالاسم الناطق به لسان الشريعة .

(٢) فينامون فمدلج في خير : أدلج القوم ، إذا ساروا من أول الليل . والاسم الدلج بالتحريك ، والدلجة والدلجة أيضًا مثل بزهة من الدهر وبزهة . فإن ساروا من آخر الليل فقد
 أدلجوا بتشديد الدال ؛ والاسم الدلجة والدلجة .

(٣) يعتمل : من الاعتمال من باب الافتعال وفيه معنى التكلف .

الذي يصلي مع الجماعة

٢٤ - عَنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :

" مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فَصَلَّاهَا مَعَ النَّاسِ أَوْ مَعَ الْجَمَاعَةِ أَوْ فِي الْمَسْجِدِ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبُهُ " . (م / ٥٧١) .

٢٥ - عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :

" مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَصَلَّاهَا مَعَ الْإِمَامِ ، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ " .

رواه ابن خزيمة ، قال الشيخ الألباني : (صحيح) (صحيح الترغيب والترهيب / ٣٠٠) .

الذي يبقى في مُصَلَّاه الَّذِي صَلَّى فِيهِ

26- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ تَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ
ارْحَمْهُ " . (خ / ٤٤٥) .

الذي يحسن الوضوء ثم يصلي الجمعة و يستمع و ينصت

٢٧ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ ^(١) غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا ^(٢) " . (م / ٢٠٢٥) .

(١) قوله : (فَاسْتَمَعَ لَهُ وَأَنْصَتَ) لاشك أن الاستماع أخص من الإنصات لأن الاستماع الإصغاء والإنصات السكوت ولا يلزم من السكوت الإصغاء .

في (تحفة الأحوذى ٣٥ / ٢) قال : قَالَ النَّوَوِيُّ : هُمَا شَيْئَانِ مُتَمَازِيَانِ وَقَدْ يَجْتَمِعَانِ ، فَلَا سَمْعَ الْإِصْغَاءِ ، وَالْإِنْصَاتِ السُّكُوتُ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) انْتَهَى . قُلْتُ : الْإِنْصَاتُ هُوَ السُّكُوتُ مَعَ الْإِصْغَاءِ لَا السُّكُوتُ الْمُخْصُ ، وَقَدْ حَقَّقْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِنَا تَحْقِيقَ الْكَلَامِ . وقال الرازي في تفسيره : الإنصات سكوت مع استماع . ومتى انفك أحدهما عن الآخر لا يقال له إنصات . وقال العيني في شرح البخاري : الإنصات هو السكوت مع الإصغاء - انتهى .

(٢) (ومن مسَّ الحصى فقد لغا) : قَالَ النَّوَوِيُّ : فِيهِ التَّهْنِئَةُ عَنْ مَسِّ الْحَصَى وَغَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَبَثِ فِي حَالِ الْخُطْبَةِ ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى إِقْبَالِ الْقَلْبِ وَالْخَوَارِجِ عَلَى الْخُطْبَةِ ، وَالْمُرَادُ بِاللَّغْوِ هَاهُنَا الْبَاطِلُ الْمَذْمُومُ الْمَرْذُودُ انْتَهَى

(من مس الحصى) أي سوى الأرض للسجود فإنهم كانوا يسجدون عليها وقيل هو قلب السبحة وعددها (فقد لغا) أي وقع في باطل مذموم أو فعل ما لا يعنيه ولا يليق به فيكره مس الحصى وغيره من أنواع اللعب في جميع الصلاة والحق به حال الخطبة بل يقبل قلبه وجوارحه عليها .

أي : قد أتى لغواً من الفعل أو القول . قال الهروي : تكلم بما لا يجوز له ، وقيل : لغا عن الصواب ؛ أي : مال عنه . وقال النضر بن شميل : خاب ، أَلْغَيْتَهُ : خَيَّبْتَهُ . قال ابن عرفة : اللغو : الشيء المسقط ؛ أي : أَلْمَغِي . يقال : لغا بلغو ، ولغى يَلْغَى .

وفي هذا الحديث ما يدل على وجوب الإقبال على استماع الخطبة ، والتجرد لذلك ، والإعراض عن كل ما يشغل عنها ؛ ولذلك قال . صلى الله عليه وسلم . في الحديث الآخر : " من قال لصاحبه أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب ؛ فقد لغا " ، وهو حجة على وجوب الإنصات للخطبة على من كان مستمعا ، وهو مذهب الجمهور .

قال النووي : قَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ : يُقَالُ : لَغَا يَلْغُو كَغَرَا يَغْرُو ، وَيُقَالُ : لَغِيَ يَلْغَى كَغَمِيَ يَغْمَى ، لُغْتَانِ الْأَوَّلَى أَفْصَحُ ، وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ يَقْتَضِي هَذِهِ الثَّانِيَةَ الَّتِي هِيَ لُغَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ) وَهَذَا مِنْ لَغِيَ يَلْغَى ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْأَوَّلِ لَقَالَ : وَالْغَوْا بِضَمِّ الْغَيْنِ . اهـ .

معنى اللغو : ساقط الكلام ومطروحه وباطله . قال القاضي : وألغيت الشيء طرحته ، وألغيت إذا أتيت بلغو . وقال النووي : اللغو ، وهو الكلام المُلَغِي السَّاقِطُ الْبَاطِلُ الْمَرْذُودُ . واللغو يكون بالقول ويكون بالفعل ، كما في هذا الحديث ، فالعبث بالحصى أو بالمسبحة أو بالمفاتيح وغيرها عبث يُعْتَبَرُ مِنَ اللغو .

بل وتخطى رقاب الناس وأذيتهم يوم الجمعة تُعْتَبَرُ مِنَ اللغو ، لقوله عليه الصلاة والسلام : مَنْ لَغَا وَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ ظَهْرًا . رواه أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وحسنه الألباني .

وكان عكرمة ينهى عن قلب الحصى ، وعن تفقيع الأصابع ، في الجمعة والإمام يخطب . رواه عبد الرزاق .

وفي وجوب الإنصات يوم الجمعة لسماع الخطبة قال ابن بطال : وَجَمَاعَةُ أُنَمَّةِ الْفُقَتَى عَلَى وَجُوبِ الْإِنْصَاتِ لِلْخُطْبَةِ .

الذي يغتسل يوم الجمعة ثم يأتي الجمعة فيصلّي ما قُدِّرَ له ثم ينصت حتى يفرغ الإمام من خطبته ثم يصلي معه

٢٨- عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ ^(١) وَيَدَّهْنُ مِنْ دُهْنِهِ ^(٢) ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ ثُمَّ يَنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى " . (خ / ٨٨٣) .

٢٩ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" مَنْ اغْتَسَلَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ ثُمَّ يُصَلِّيَ مَعَهُ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَفُضِّلَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ " . (م / ٢٠٢٤) .

(١) وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ : من طهر بالتنكير ويراد به المبالغة في التنظيف فلذلك ذكره في باب الفعل وهو للتكلف والمراد به التنظيف بأخذ الشارب وقص الظفر وحلق العانة أو المراد بالاغتسال غسل الجسد وبالنظر غسل الرأس أو المراد به تنظيف الثياب .

(٢) ويدهن من دهنه : والمراد به إزالة شعث الرأس واللحية به ويدهن بتشديد الدال من باب الافتعال لأن أصله يتدهن فقلبت التاء دالاً وادغمت الدال في الدال مس الطيب وهو معنى قوله : أو يمس من طيب بيته قيل : معناه إن لم يجد دهنًا يمس من طيب بيته وقيل أو بمعنى الواو وقال الكرمانى : و أو في أو يمس لا ينافي الجمع بينهما وقيل بطيب بيته ليؤذن بأن السنة أن يتخذ الطيب لنفسه ويجعل استعماله عادة له فيدخر في البيت بناء على أن المراد بالبيت حقيقته .

الذي يوافق تأمينه تأمين الملائكة

- ٣٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
 " إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا ^(١) ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " . (خ / ٧٨٠) .
- ٣١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
 " إِذَا قَالَ الْإِمَامُ (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ، وَلَا الضَّالِّينَ) فَقُولُوا آمِينَ ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " . (خ / ٧٨٢) .
- ٣٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
 " إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ آمِينَ ، وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ ، فَوَافَقَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " . (م / ٩٤٤) .
- ٣٣- أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
 " إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ ^(٢) فَإِذَا صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا وَإِذَا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ . فَقُولُوا اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ . فَإِذَا وَافَقَ قَوْلَ أَهْلِ الْأَرْضِ قَوْلَ أَهْلِ السَّمَاءِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " . (م / ٩٦١) .

(١) إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا : أي إذا قال الإمام آمين بعد قراءة الفاتحة فَأَمَّنُوا أي فقولوا آمين ، قوله " فإنه " أي : فإن الشأن ، قوله : " من وافق تأمينه تأمين الملائكة " زاد يونس عن ابن شهاب عند مسلم " فإن الملائكة تؤمن " قبل قوله : " فمن وافق " كذا في رواية ابن عيينة عن ابن شهاب عند البخاري في الدعوات وقال ابن حبان في (صحيحه) " فإن الملائكة تقول آمين " ثم قال يريد أنه إذا أَمَّنَ كَتَامِينَ الملائكة من غير إعجاب ولا سمعة ولا رياء خالصا لله تعالى فإنه حينئذ يغفر له ، قلت : هذا التفسير يندفع بما في (الصحيحين) عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي " إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة في السماء ووافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه " انتهى وزاد فيه مسلم " إذا قال أحدكم في الصلاة " ولم يقلها البخاري وغيره وهي زيادة حسنة نبه عليها عبد الحق في (الجمع بين الصحيحين) وفي هذا اللفظ فائدة أخرى وهي اندراج المنفرد فيه وغير هذا اللفظ إنما هو في الإمام وفي المأموم أو فيهما والله أعلم .

واختلفوا في هؤلاء الملائكة ف قيل هم الحفظة وقيل الملائكة المتعاقبون وقيل غير هؤلاء لما روى البيهقي بلفظ " إذا قال القاريء غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقال من خلفه آمين ووافق ذلك قول أهل السماء آمين غفر له ما تقدم من ذنبه " ورواه الدارمي أيضا في (مسنده) وقيل هم جميع الملائكة بدليل عموم اللفظ لأن الجمع المطلق باللام يفيد الاستغراق بأن يقولها الحاضرون من الحفظة ومن فوقهم حتى ينتهي إلى الملائكة الأعلى وأهل السموات .

(٢) الْإِمَامُ جُنَّةٌ : الْمَجْنُ ، وَالْجَنَّةُ ، وَالْجَانُّ ، وَالْجَنَّةُ : كله راجع إلى معنى السَّتر ، والتَّوَقِّي ، أي : ستر لمن خلفه ومانع من مفسدات صلاتهم ، من سهو يحملهم عنهم ، وماز يقطعها عليهم ، فهو لهم كالمجن ، والجنة ، وهي الترس الذي يستر من ورائه ويدفع عنه ما يكرهه . ومعنى كونه جنة : أَنَّهُ يَتَّقِي بِهِ وَيَسْتَرُ ، ولهذا إذا سلمت سترته لم يضر ما مر بين يديه .

الذي يصلي صلاة التسبيح

٣٤ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : " يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّاهُ أَلَا أُعْطِيكَ أَلَا أَمْنَحُكَ ^(١) أَلَا أَحْبُوكَ ^(٢) أَلَا أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ ^(٣) إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ عَشْرَ خِصَالٍ أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكَعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ قُلْتَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ثُمَّ تَرْكَعُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ فَتَقُولُهَا عَشْرًا فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي عُمْرِكَ مَرَّةً " .

تحقيق الألباني : (صحيح) (صحيح أبي داود / ١٢٩٧) .

(١) (ألا أمنحك) : من منح يمنح إذا أعطى ، والاسم : المنحة ، وهي : العطية : أي ألا أعطيك منحة . قَالَ فِي الْمَغْرِبِ : الْمُنْحُ أَنْ يُعْطِيَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ شَاةً أَوْ نَاقَةً لِيَشْرَبَ لَبَنَهَا ثُمَّ يَرُدَّهَا إِذَا ذَهَبَ ذَرْهَا هَذَا أَصْلُهُ ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ حَتَّى قِيلَ فِي كُلِّ عَطَاءٍ .

(٢) (ألا أحبوك) : يُقَالُ حَبَاهُ كَذَا وَيَكْدَا إِذَا أَعْطَاهُ ، وَالْحَبَاءُ الْعَطِيَّةُ . كَذَا فِي النَّهْيَةِ وَهُوَ قَرِيبُ الْمَعْنَى ، وَالْحَبْوَةُ - بِالْفَتْحِ - الْمَصْدَرُ .

(٣) خصال : الْخَصْلَةُ : الْخَلَّةُ ، نَقْلُهُ الصَّاعِي . أَيْضًا : الْفَضِيلَةُ وَالرَّذِيلَةُ تَكُونُ فِي الْإِنْسَانِ . أَوْ قَدْ غَلَبَ عَلَى الْفَضِيلَةِ كَمَا فِي الْمُحْكَمِ . وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : الْخَصْلَةُ : حَالَاتُ الْأُمُورِ . الْجَمْعُ : خِصَالٌ بِالْكَسْرِ ، تَقُولُ : فَلَانٌ فِيهِ خَصْلَةٌ حَسَنَةٌ ، وَخَصْلَةٌ قَبِيحَةٌ ، وَخِصَالٌ وَخِصَالٌ كَرِيمَةٌ . وَفِي الْحَدِيثِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ أَيْ شُعْبَةٌ مِنَ شُعَبِ النِّفَاقِ وَجَزءٌ مِنْهُ أَوْ حَالَةٌ مِنْ حَالَاتِهِ .

الذي يُسَبِّحُ و يحمَدُ و يُكَبِّرُ الله في دبر كل صلاة

٣٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ^(١) ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ^(٢) " . (م / ١٣٨٠) .

٣٦ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" مَنْ سَبَّحَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الْغَدَاةِ ^(٣) مِائَةً تَسْبِيحَةً ، وَهَلَّلَ ^(٤) مِائَةً تَهْلِيلَةً ، غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ " .

تحقيق الألباني : صحيح الإسناد (صحيح النسائي / ١٣٥٤) .

(١) دبر كل صلاة : بضم الدال المهملة وضم الباء الموحدة وسكونها أي عقيب كل صلاة مكتوبة أي فريضة قال الأزهري دبر الأمر يعني بضمين ودبره يعني بفتح ثم سكون آخره ، وقال الداودي عن ابن الأعرابي : دُبُرُ الشَّيْءِ وَدَبْرُهُ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحُ : آخِرُ أَوْقَاتِهِ ، ومقتضى الحديث أن الذكر المذكور يقال عند الفراغ من الصلاة فلو تأخر ذلك عن الفراغ فإن كان يسيراً بحيث لا يعد معرضاً أو كان ناسياً أو متشاعلاً بما ورد أيضاً بعد الصلاة كآية الكرسي فلا يضر وظاهر قوله كل صلاة يشمل الفرض والنفل لكن حمله أكثر العلماء على الفرض وقد وقع في حديث كعب بن عجرة عند مسلم التقييد بالمكتوبة وكأنهم حملوا المطلقات عليها .

(٢) زَبَدُ الْبَحْرِ : الزَّبَدُ مُخْرَجَةٌ مَا يَغْلُو الْمَاءَ وَغَيْرُهُ مِنَ الرُّغْوِ .

(٣) وفي الصَّحاح : صَلَاةُ الْغَدَاةِ ، وفي المصباح : صَلَاةُ الصُّبْحِ ؛ (وطلوع الشمس) ، والجمعُ غَدَى كَمُدَيَّةٍ وَمُدَى . وفي المصباح : الْغَدَاةُ الصُّحُورَةُ ، وهي مُؤَثَّثَةٌ .

(٤) وَهَلَّلَ : أَي يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

المسلم الذي يتليه الله في جسده أو بمرض

٣٧ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" إِذَا ابْتَلَى اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِلَاءٍ فِي جَسَدِهِ ، قَالَ اللَّهُ : اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ ، فَإِنْ شَفَاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ ، وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ ^(١) " .

قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ٢٥٨ في صحيح الجامع (حم) .

٣٨ - عَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا مَرَضَ أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مَلَائِكَتِهِ ، فَيَقُولُ : يَا مَلَائِكَتِي أَنَا قَيِّدْتُ عَبْدِي بِقَيْدٍ مِنْ قُيُودِي ، فَإِنْ قَبَضْتُهُ ، أَغْفِرْ لَهُ ، وَإِنْ أَعَافِهِ فَحِينَئِذٍ يَقْعُدُ وَلَا ذَنْبَ لَهُ " . ^(*)
(حسن) انظر حديث رقم : ١٦٧٣ في صحيح الجامع .

(١) بِلَاءٍ فِي جَسَدِهِ : كالمريض مثلاً .

اَكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ : أي مثله . قال القاري : الظاهر من الحديث أنه يكتب له نفس العمل ، وقيل ثوابه ، والأول أبلغ فانه يشمل التضاعف .
فَإِنْ شَفَاهُ : الله عز وجل .

غَسَلَهُ : أي نظفه .

وَطَهَّرَهُ : من الذنوب ؛ لأن المرض كفرها ، والواو تفسيرية أو تأكيدية .

وَإِنْ قَبَضَهُ : أي أمر بقبضه وأماته .

(*) و قد جاءت أحاديث أخرى تدل بالمعنى أنه يغفر لأهلها منها : عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" إِذَا اشْتَكَى الْمُؤْمِنُ أَخْلَصَهُ ذَلِكَ ، كَمَا يُخْلِصُ الْكَبِيرَ خَبَثُ الْخُدَيْدِ " (صحيح) انظر حديث رقم : ٣٤٤ في صحيح الجامع .

الذي يَعُودُ مَرِيضًا

٣٩ - عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : " مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُمَسِيًّا إِلَّا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ أَتَاهُ مُصْبِحًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُمَسِيَ ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ " .

تحقيق الألباني :

صحيح موقوف ، الصحيحة (١٣٦٧) (صحيح أبي داود / ٣٠٩٨) .

الذي يُغسّل مسلماً فيكتم عليه

٤٠ - عَنْ أَبِي رَافِعٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" مَنْ غَسَلَ مَيِّتًا فَكُتِمَ عَلَيْهِ ^(١) غُفِرَ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً ، وَمَنْ كَفَّنَ مَيِّتًا كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ^(٢) فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ حَفَرَ لِمَيِّتٍ قَبْرًا فَأَجَنَّهُ ^(٣) فِيهِ أَجْرَى اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَأَجْرِ مَسْكِنٍ أُسْكِنَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " .

قال الشيخ الألباني : صحيح (صحيح الترغيب والترهيب / ٣٤٩٢) .

رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

(١) فَكُتِمَ عَلَيْهِ : يستر على الميت ما يرى من مكروه والذي يُرى من الميت من المكروهات نوعان : النوع الأول : ما يتعلق بحاله ، النوع الثاني : ما يتعلق بجسده ، الأول : لو رأى مثلاً أن الميت تغير وجهه ، واسود ، وقبح ، فهذا - والعياذ بالله - دليل على سوء خاتمته نسأل الله العافية فلا يحل له أن يقول للناس إني رأيت هذا الرجل على هذه الصفة لأن هذا كشف لعيوبه والرجل قدم على ربه وسوف يجازيه بما يستحق من عدل أو فضل إن كان عمل خيراً فالله يجزيه الحسنة بعشرة أمثالها وإن كان غير ذلك وجزاء سيئة سيئة مثلها . الثاني : ما يتعلق بجسده كان يرى بجسده عيباً كان يرى بَرَصاً أو سواداً خلقياً أو غير ذلك مما يكره الإنسان أن يطلع عليه غيره فهذا أيضاً لا يجوز له أن يكشفه للناس ويقول رأيت فيه كذا وكذا برصاً في بطنه في ظهره وما أشبه ذلك ولهذا قال العلماء رحمهم الله : يجب على الغاسل أن يستر ما رآه إن لم يكن حسنة أما إذا رأى خيراً بالميت واستنارة بوجهه أو رآه يتسم فهذا خير وليخبر به الناس لأنه يجعل الناس يشنون عليه خيراً ولا بأس به ولا يعد هذا من الرياء أو ما أشبه ذلك فإن هذا يعد من عاجل بشرى المؤمن لأن المؤمن قد يكون له مبشرات ومن هذه مثلاً أنه يرى بعد موته على حالة حسنة وكذلك يرى الرؤيا الحسنة لنفسه أو يراها له غيره كل هذه من المبشرات التي تبشر بالخير .

(٢) سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ : نسيجٌ خريز ، وقال المفسرون في تفسير السُّنْدُس : أنه زقيق الدِّبَّاج ، وفي تفسير الإِسْتَبْرَق : إنه غليظ الدِّبَّاج ، لم يختلفوا فيه . قيل الدِّبَّاج : نَوْعٌ مِنَ الْخَرِير .

(٣) فَأَجَنَّهُ : أي دفنه أو واره أو غيبه .

الميت الذي يُصلي عليه جمع من المسلمين

٤١ - عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" مَا مِنْ رَجُلٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ مِائَةٌ إِلَّا غُفِرَ لَهُ " .

قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٧١٦ في صحيح الجامع (طب حل) .

الزوجان اللذان يموت لهما ثلاثة من الولد

٤٢- عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ ^(١) إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ " .

قال الشيخ الألباني : (صحيح) (صحيح النسائي / ١٨٧٤) .

(١) لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ : بكسر الحاء وسكون النون بعدها مثلثة ، الحنث : أي الإثم ، ومنه لم يبلغوا الحنث أي لم يدركوا فيكتب عليهم الإثم أي لَمْ يَبْلُغُوا سِنَ التَّكْلِيفِ الَّذِي يُكْتَبُ فِيهِ الْحِنْثُ ، وَهُوَ الْإِثْمُ . المعنى أنهم ماتوا قبل بلوغهم التكليف فلم يكتب عليهم الآثام ويقال معناه : لم يبلغوا زمان التكليف وسن العقل ، قال الجوهرى : يقال بلغ الغلام الحنث أي المعصية والطاعة ، وقال الصغاني : وبلغ الغلام الحنث أي بلغ مبلغاً جرى عليه القلم بالطاعة والمعصية ، والحنث الزنا أيضاً ، والحنث في اليمين ، والحنث العدل الكبير الثقيل ، والحنث الميل من باطل إلى حق أو من حق إلى باطل يقال قد حنثت على أي ملت إلى ، فإن قلت : لم خص الحكم باللذين لم يبلغوا الحنث وهم صغار ؟ قلت : لأن قلب الوالدين على الصغير أرحم وأشفق دون الكبير لأن الغالب على الكبير عدم السلامة من مخالفة والديه وعقوقهم .

الذي يشهد له جيرانه بالخير بعد موته

٤٣ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ ، فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةُ أَهْلِ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْأَذْنَيْنِ ^(١) أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا خَيْرًا ، إِلَّا قَالَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ فِيهِ ، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ " .

رواه أبو يعلى وابن حبان في صحيحه

قال الشيخ الألباني : (حسن لغيره) (صحيح الترغيب والترهيب / ٣٥١٥) .

(١) مِنْ جِيرَانِهِ الْأَذْنَيْنِ : الأقربين .

الذي يصوم رمضان أو يقومه أو يقوم ليلة القدر إيماناً واحتساباً

٤٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :

" مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا ^(١) وَاحْتِسَابًا ^(٢) غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " . (خ / ٣٨) .

٤٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :

" مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " . (خ / ٣٧) ، (م / ١٨١٥) .

٤٦ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :

" مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " . (خ / ١٩٠١) .

(١) إيماناً : إيماناً بالله وتصديقاً بوعده وإقراراً به .

(٢) واحتساباً : والاسم الحسبان بكسر أوله وأصله ادخار أجر ذلك العمل .

واحتساباً : أي إرادة وجه الله تعالى لا لرياء ونحوه فقد يفعل الإنسان الشيء الذي يعتقد أنه صادق لكن لا يفعله مخلصاً بل لرياء أو خوف أو نحو ذلك يقال احتساباً أي حسبته الله تعالى يقال احتسبت بكذا أجزاً عند الله أي اعتدته أنوي به وجه الله تعالى ومنه قوله عليه السلام من صام رمضان إيماناً واحتساباً الحديث واحتسبت عليه كذا أي أنكرته عليه قاله ابن دريد ومنه محتسب البلد

و (إحتساباً) : أن يُريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ، ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص . والمُرَاد بِقِيَامِ رَمَضَانَ صَلَاةُ التَّارَوِيحِ ، وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى اسْتِحْبَابِهَا ، وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّ الْأَفْضَلَ صَلَاتُهَا مُتَّفَرِّدًا فِي بَيْتِهِ أَمْ فِي جَمَاعَةٍ فِي الْمَسْجِدِ ؟ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَجَمُوهُورُ أَصْحَابِهِ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَحْمَدُ وَبَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ وَغَيْرُهُمْ : الْأَفْضَلُ صَلَاتُهَا جَمَاعَةً كَمَا فَعَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَالصَّخَّابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَاسْتَمَرَّ عَمَلُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ الشَّعَائِرِ الظَّاهِرَةِ فَأَشْبَهَ صَلَاةَ الْعِيدِ . وَقَالَ مَالِكٌ وَأَبُو يُوسُفَ وَبَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ وَغَيْرُهُمْ : الْأَفْضَلُ فُرَادَى فِي الْبَيْتِ لِقَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (أَفْضَلُ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ) .

الذي يصوم يوم عرفة

٤٧ - عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" مَنْ صَامَ يَوْمَ عَرَفَةَ ، غُفِرَ لَهُ سَنَةٌ أَمَامَهُ ، وَسَنَةٌ بَعْدَهُ " .

تحقيق الألباني : (صحيح ابن ماجه / ١٧٣١) ، الإرواء (٤ / ١٠٩ - ١١٠) ، الضعيفة (٥ / ٢٢) ،
التعليق الرغيب (٢ / ٧٦ و ٧٨) .

٤٨ - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" مَنْ صَامَ يَوْمَ عَرَفَةَ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُ سَنَتَيْنِ مُتَتَابِعَتَيْنِ " .

قال الشيخ الألباني : (صحيح) رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح (صحيح الترغيب والترهيب / ١٠١٢) .

الذي يصوم يوم عاشوراء

٤٩ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" مَنْ صَامَ يَوْمَ عَرَفَةَ ، غُفِرَ لَهُ سَنَةٌ أَمَامَهُ وَسَنَةٌ خَلْفَهُ وَ مَنْ صَامَ عَاشُورَاءَ ^(١) غُفِرَ لَهُ سَنَةٌ " .

قال الشيخ الألباني : (صحيح لغيره) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن
(صحيح الترغيب والترهيب / ١٠١٣) .

(١) عَاشُورَاءُ : يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من شهر المحرم وهو ممدود غير منصرف ، وقال أبو علي القالي في (كتاب الممدود والمقصود) : عاشوراء على وزن فاعولاء ولا نعلم من هذا المثل غيره . والكلام فيه على أنواع :

الأول : في بيان اشتقاق عاشوراء ووزنه فاشتقاقه من العشر الذي هو اسم للعدد المعين ، وقال القرطبي : عاشوراء معدول عن عاشره للمبالغة والتعظيم وهو في الأصل صفة لليلة العاشره لأنه مأخوذ من العشر الذي هو اسم الفعل واليوم مضاف إليها فإذا قيل يوم عاشوراء فكانه قيل يوم الليلة العاشره إلا أنهم لما عدلوا به عن الصفة غلبت عليها الإسمية فاستغنوا عن الموصوف فحذفوا الليلة ، وقيل : هو مأخوذ من العشر بالكسر في أورد الإبل تقول العرب : وردت الإبل عشراً إذا وردت اليوم التاسع وذلك لأنهم يحسبون في الإطماء يوم الورد فإذا قامت في الرعي يومين ثم وردت في الثالثة قالوا وردت ربعا وإن رعت ثلاثا وفي الرابع وردت خمسا لأنهم حسبو في كل هذا بقية اليوم الذي وردت فيه قبل الرعي وأول اليوم الذي ترد فيه بعده وعلى هذا القول يكون التاسع عاشوراء وأما وزنه ففاعولاء ، قال أبو منصور اللغوي : عاشوراء ممدود ولم يجرى فاعولاء في كلام العرب إلا عاشوراء والضاروراء اسم الضراء والساوراء اسم للسرء والدالولاء اسم للدلاء وخابوراء اسم موضع وقال الجوهري يوم عاشوراء وعاسوراء ممدودان وفي (تنقيف اللسان) للحميري عن أبي عمرو الشيباني : عاشورا بالقصر وروي عن أبي عمر قال : ذكر سيويه فيه القصر والمد بالهمز وأهل الحديث تركوه على القصر وقال الخليل : بنوه على فاعولاء ممدوداً لأنها كلمة عبرانية وفي (الجمهرة) : هو اسم إسلامي لا يعرف في الجاهلية لأنه لا يعرف في كلامهم فاعولاء ورد على هذا بأن الشارع نطق به وكذلك أصحابه قالوا بأن عاشوراء كان يسمى في الجاهلية ولا يعرف إلا بهذا الاسم النوع الثاني : اختلفوا فيه في أي يوم ؟ فقال الخليل : هو اليوم العاشر والاشتقاق يدل عليه وهو مذهب جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم فمن ذهب إليه من الصحابة عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ومن التابعين سعيد بن المسيب والحسن البصري ومن الأئمة مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحابهم وذهب ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إلى أن عاشوراء هو اليوم التاسع وفي (المصنف) عن الضحاك عاشوراء اليوم التاسع وفي (الأحكام) لابن بزيعة اختلف الصحابة فيه هل هو اليوم التاسع أو اليوم العاشر أو اليوم الحادي عشر وفي (تفسير أبي الليث السمرقندي) عاشوراء يوم الحادي عشر وكذا ذكره المحب الطبري واستحب قوم صيام اليومين جميعاً روي ذلك عن أبي رافع صاحب أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وابن سيرين وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق وروي عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه كان يصوم اليومين خوفاً أن يفوته وكان يصومه في السفر وفعله ابن شهاب وصام أبو إسحاق عاشوراء ثلاثة أيام يوماً قبله ويوماً بعده في طريق مكة وقال إنما أصوم قبله وبعده كراهية أن يفوتني وكذا روي عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أيضاً أنه قال صوموا قبله يوماً وبعده يوماً وخالفوا اليهود وفي (المحيط) وكره إفراذ يوم عاشوراء بالصوم لأجل التشبه باليهود وفي (البدائع) وكره بعضهم إفراذه بالصوم ولم يكرهه عاتمهم لأنه من الأيام الفاضلة وأورد الترمذي في سننه : باب ما جاء في يوم عاشوراء أي يوم هو وفي مسلم عن الحكم بن الأغر قال : انتَهَيْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ رِذَاءَهُ فِي زَمْرَةٍ فَقُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ صَوْمِ عَاشُورَاءَ ، فَقَالَ : إِذَا رَأَيْتَ هَلَالُ الْمُحَرَّمِ فَاعْدُدْ وَأَصْبِحْ يَوْمَ التَّاسِعِ صَائِماً . قُلْتُ هَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَصُومُهُ قَالَ نَعَمْ . (م / ٢٧٢٠) قال النووي في شرح الحديث : (في زمزم) أي عندها وهي البئر المعروفة بمكة في داخل الحرم (فاعدد وأصبح يوم التاسع صائماً) هذا تصريح من ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بأن مذهبه أن عاشوراء هو اليوم التاسع من المحرم ويتأوله على أنه مأخوذ من أظماء الإبل فإن العرب تسمي اليوم الخامس من أيام الورد ربعا وكذا باقي الأيام على هذه النسبة فيكون التاسع عشر وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف بأن عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم وهذا ظاهر الأحاديث ومقتضى اللفظ وأما تقدير أخذه من الأظماء فبعيد (و عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : أمر رسول الله بصوم يوم عاشوراء اليوم العاشر قال أبو عيسى حديث ابن عباس حديث حسن صحيح قلت حديث ابن عباس الأول رواه مسلم وأبو داود والثاني انفرد به الترمذي وهو منقطع بين الحسن البصري وابن عباس فإنه لم يسمع منه وقول الترمذي حديث حسن لم يوضح مراده أي حديثي ابن عباس أراد وقد فهم أصحاب الأطراف أنه أراد تصحيح حديثه الأول فذكروا كلامه هذا عقب حديثه الأول فبين أن الحديث الثاني منقطع وشاذ أيضاً لمخالفته للحديث الصحيح المتقدم فإن قلت هذا الحديث الصحيح يقتضي بظاهره أن عاشوراء هو التاسع قلت أراد ابن عباس من قوله فإذا أصبحت من تاسعه فأصبح صائماً أي صم التاسع مع العاشر وأراد بقوله نعم ما روي من عزمه على صوم التاسع من قوله لأصوم التاسع وقال القاضي ولعل ذلك على طريق الجمع مع العاشر لئلا يتشبه باليهود كما ورد في رواية أخرى فصوموا التاسع والعاشر وذكر رزين هذه الرواية عن عطاء عنه وقيل معنى قول ابن عباس نعم أي نعم يصوم التاسع لو عاش إلى العام المقبل وقال أبو عمر وهذا دليل على أنه كان يصوم العاشر إلى أن مات ولم يزل يصومه حتى قدم المدينة وذلك محفوظ من حديث ابن عباس والأثار في هذا الباب عن ابن عباس مضطربة قال الألباني في السلسلة الضعيفة : قال الشوكاني رحمه الله تعالى (٢٠٦ / ٤) : "أرشد ابن عباس السائل له إلى اليوم الذي يصام فيه ، وهو التاسع ، ولم يجب عليه بتعيين يوم عاشوراء أنه اليوم العاشر ؛ لأن ذلك مما لا يسأل عنه ، ولا يتعلق بالسؤال عنه فائدة ، فابن عباس لما فهم من السائل أن مقصوده تعيين اليوم الذي يصام فيه ؛ أحاب عليه بأنه التاسع . وقوله "نعم" بعد قول السائل : أهكذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يصوم ؟ بمعنى : نعم هكذا كان يصوم لو بقي ؛ لأنه قد أخبرنا بذلك ، ولا بد من هذا ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - مات قبل صوم التاسع " .

قلت : وهذا أحسن ما قيل في تأويل قول ابن عباس هذا ، وبه تجتمع الأحاديث ويؤول التعارض الظاهر منها . ومما يؤكد أن يوم عاشوراء هو العاشر حتى عند ابن عباس نفسه ؛ هو سبب ورود حديث ابن عمير المتقدم ؛ فقد أخرج مسلم من طريق أخرى عن ابن عباس قال : حين صام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه ، قالوا : يا رسول الله ! إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " فإذا كان العام المقبل - إن شاء الله - صمنا اليوم التاسع " . قال : فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فهذا نص من ابن عباس على أن التاسع هو غير عاشوراء ، فثبت بطلان حديث الترجمة . والله أعلم .

الذي حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ

٥٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ ^(١) وَلَمْ يَفْسُقْ ^(٢) غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " .
تحقيق الألباني : صحيح (صحيح الترمذي / ٨١٦) .

(١) فلم يرفث : الرَفَثُ ، وَهُوَ السُّخْفُ وَفَاحِشُ الْكَلَامِ ، يُقَالُ : (رَفَثَ) يَفْتَحُ الْفَاءَ ، (يَرْفُثُ) يَضْمَهُهَا وَكَسْرُهَا ، وَ (رَفَثَ) يَكْسِرُهَا ، (يَرْفُثُ) يَفْتَحُهَا رَفَثًا يَسْكُونُ الْفَاءَ فِي الْمَصْدَرِ وَرَفَثًا يَفْتَحُهَا فِي الْإِسْمِ ، وَيُقَالُ : (أَرْفَثَ) رُبَاعِيٌّ حَكَاهُ الْقَاضِي ، وَالْجَهْلُ قَرِيبٌ مِنَ الرَّفَثِ ، وَهُوَ خِلَافُ الْحِكْمَةِ وَخِلَافُ الصَّوَابِ ، مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ . وَ الرَفَثُ : الجماع ويطلق على التعريض به وعلى الفحش في القول ، وقال الأزهري : الرَفَثُ : اسم جامع لكل ما يريد الرجل من المرأة ، وكان ابن عمر يخصه بما خوطب به النساء ، وقال عياض : هذا من قول الله تعالى : (فلا رفث ولا فسوق) والجمهور على أن المراد به في الآية الجماع انتهى ، والذي يظهر أن المراد به في الحديث ما هو أعم من ذلك وإليه نحا القرطبي وهو المراد بقوله في الصيام : " فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث " . فائدة فاء الرَفَثُ مثلثة في الماضي والمضارع والأفصح الفتح في الماضي ، والضم في المستقبل والله أعلم .

(٢) ولم يفسق : الفسق العصيان ، والترك لأمر الله تعالى ، والخروج عن طريق الحق ، فسق يفسق ويفسق فسقًا وفسوقًا ، وفسق بالضم عن اللحياني وقال : رواه الأحمر ، ولم يعرفه الكسائي ، وقيل : الفسق الخروج عن الدين ، ورجل فاسق وفسيق وفسق ، ويقال في المرأة : يا فسق ، وللأنثى يا فساق ، والفسق الخروج عن الأمر ذكره ابن سيده ، وقال القزاز : أصله من قولهم : انفسقت الرطبة إذا أخرجت من قشرها فسمي بذلك الفاسق لخروجه من الخير وانسلاخه منه ، قالوا : والفسق والفسوق في الدين اسم إسلامي لم يسمع في الجاهلية ولا يوجد في أشعارهم وإنما هو محدث سمي به الخارج عن الطاعة بعد نزول القرآن العظيم ، وقال ابن الأعرابي لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق وهذا عجيب وهو كلام عربي وتعقب بأنه كثر استعماله في القرآن وحكايته عن قبل الإسلام .

الذي يحلق رأسه في الحج

٥١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ " قَالُوا : وَلِلْمُقَصِّرِينَ ، قَالَ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ " قَالُوا : وَلِلْمُقَصِّرِينَ ، قَالَهَا ثَلَاثًا ،
قَالَ : " وَلِلْمُقَصِّرِينَ " . (خ / ١٧٢٨ ، م / ٣٢٠٨) .

صاحب سورة تبارك

٥٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" سُورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) " .
تحقيق الألباني : حسن (صحيح أبي داود / ١٤٠٠) .

الذين يذكرون الله - تعالى -

٥٣ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
 " إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً ^(١) فَضُلًا ^(٢) يَتَّبِعُونَ ^(٣) مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا
 مَعَهُمْ وَحَفَّ ^(٤) بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا ^(٥) وَصَعِدُوا
 إِلَى السَّمَاءِ قَالَ : فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي
 الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ ^(٦) وَيُكَبِّرُونَكَ ^(٧) وَيُهَلِّلُونَكَ ^(٨) وَيَحْمَدُونَكَ ^(٩) وَيَسْأَلُونَكَ . قَالَ : وَمَاذَا يَسْأَلُونِي قَالُوا :
 يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ . قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا : لَا أَيْ رَبِّ . قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ
^(١٠) . قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي قَالُوا : مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ . قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا : لَا . قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا
 نَارِي قَالُوا : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا قَالَ :
 فَيَقُولُونَ : رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ ^(١١) إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ : فَيَقُولُ : وَلَهُ غَفَرْتُ هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى
 بِهِمْ جَلِيسُهُمْ " . (خ / ٦٤٠٨) ، (م / ٧٠١٥) و اللفظ له .

٥٤ - عَنْ سَهْلِ بْنِ حَنْظَلَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
 " مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فيقومون حتى يقال لهم : قُومُوا قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ بَدَلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ
 حَسَنَاتٍ " .

(طب هب الضياء) . قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٦١٠ في صحيح الجامع .

(١) مَلَائِكَةُ سَيَّارَةٌ : السَّيَّارَةُ فَمَعْنَاهُ : سَيَّاحُونَ فِي الْأَرْضِ .

(٢) فَضُلًا : قال النووي : ضَبَطُوهُ عَلَى أَوْجِهٍ أَحَدُهَا : وَهُوَ أَرْجَحُهَا وَأَشْهَرُهَا فِي بِلَادِنَا (فَضُلًا) بِضَمِّ الْفَاءِ وَالضَّادِ . وَالثَّانِيَةُ : بِضَمِّ الْفَاءِ وَإِسْكَانِ الضَّادِ ، وَرَجَّحَهَا بَعْضُهُمْ ، وَادَّعَى أَنَّهَا أَكْثَرُ وَأَصَوَّبُ ، وَالثَّالِثَةُ : بِفَتْحِ الْفَاءِ وَإِسْكَانِ الضَّادِ . قَالَ الْقَاضِي : هَكَذَا الرَّوَاةُ عِنْدَ جُمْهُورِ شَيْوخِنَا فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، وَالزَّائِدَةُ (فَضْلٌ) بِضَمِّ الْفَاءِ وَالضَّادِ وَرَفَعَ الْأَمَّ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ مُبْتَدَأٌ مَخْذُوفٌ ، وَالْخَامِسَةُ (فَضْلَاءٌ) بِالْمَدِّ جَمْعُ فَاضِلٍ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَاهُ عَلَى جَمِيعِ الرَّوَايَاتِ : أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ زَائِدُونَ عَلَى الْحَفْظَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُرْتَبِينَ مَعَ الْخَلَائِقِ ، فَهَؤُلَاءِ السَّيَّارَةُ لَا وَطِيقَةَ لَهُمْ ، إِنَّمَا مَقْصُودُهُمْ جَلْقُ الذِّكْرِ .

(٣) يَتَّبِعُونَ : بِالْعَيْنِ الْمُتَهَمِّلَةِ مِنَ التَّابِ وَهُوَ الْبَحْثُ عَنِ الشَّيْءِ وَالتَّفْقِيشُ . وَقِيلَ : (يَتَّبِعُونَ) بِالْعَيْنِ الْمُتَعَمِّمَةِ مِنَ الْإِنْبِغَاءِ ، وَهُوَ الطَّلَبُ وَكَالَاهُنَا صَحِيحٌ .

(٤) وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا : هَكَذَا هُوَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نُسَخِ بِلَادِنَا (حَفَّ) بِالْفَاءِ ، وَفِي بَعْضِهَا (خَضَّ) بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ أَيْ : حَثَّ عَلَى الْخُضُورِ وَالِاسْتِمَاعِ ، وَحَكَى الْقَاضِي عَنْ بَعْضِ رَوَاتِهِمْ (وَحَطَّ) بِالطَّاءِ الْمُتَهَمِّلَةِ وَاخْتَارَهُ الْقَاضِي ، قَالَ : وَمَعْنَاهُ أَشَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِالزُّرُولِ ، وَيُؤَيِّدُ هَذِهِ الرَّوَاةُ قَوْلَهُ بَعْدَهُ فِي الْبُخَارِيِّ (هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتُكُمْ) وَيُؤَيِّدُ الرَّوَاةُ الْأُولَى وَهِيَ (حَفَّ) قَوْلُهُ فِي الْبُخَارِيِّ : (يَخْفُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ ، وَيُخَدِّفُونَ بِهِمْ وَيَسْتَدِيرُونَ خَوْلَهُمْ ، وَيَخُوفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا) .

(٥) عَرَجُوا : عَرَجَ يَعْرِجُ : إِذَا صَعَدَ إِلَى فَوْقِ .

(٦) يُسَبِّحُونَكَ : يَذْكُرُونَ اللَّهَ بِقَوْلِهِمْ : سُبْحَانَ اللَّهِ .

(٧) وَيُكَبِّرُونَكَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ بِقَوْلِهِمْ : اللَّهُ أَكْبَرُ .

(٨) وَيُهَلِّلُونَكَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ بِقَوْلِهِمْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

(٩) وَيَحْمَدُونَكَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ بِقَوْلِهِمْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ .

(١٠) وَيَسْتَجِيرُونَكَ : أَيْ : يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ مِنَ النَّارِ .

(١١) عَبْدٌ خَطَاءٌ : أَيْ : كَثِيرُ الْخَطَايَا .

الذي يسأل الله بهذا الدعاء

٥٥ - عَنْ مُحَجَّنِ بْنِ الْأَدْرِعِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ الْأَحَدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . قَالَ : فَقَالَ : " قَدْ غُفِرَ لَهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ " . ثَلَاثًا .

تحقيق الألباني : صحيح (صحيح أبي داود / ٩٨٥) .

الذين يجتمعون على الذكر

٥٦ - عَنْ سَهْلِ ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ عَلَى ذِكْرِ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ إِلَّا قِيلَ لَهُمْ : قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ "

(صحيح) انظر حديث رقم : ٥٥٠٧ في صحيح الجامع .

٥٧ - عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ " .
(صحيح) انظر حديث رقم : ٥٦٠٩ في صحيح الجامع .

الذي يقول سبحان الله وبحمده مائة مرة

- ٥٨ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةً مَرَّةً غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ " .
تحقيق الألباني : صحيح ، ابن ماجه (٣٨١٢) (صحيح الترمذي / ٣٤٦٦) .

الذي يذكر الله بهذا الذكر عند النوم

- ٥٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
 " مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ ^(١) : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ -
 أَوْ قَالَ : خَطَايَاهُ - شَكَّ مِسْعَرٌ - وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ " .
 أخرجه ابن حبان في " صحيحه " (٢٣٦٥ / ٥٨٧) ، وابن السني في " عمل اليوم والليلة " (٧١٦ / ٢٢٩) ،
 وأبو نعيم في " أخبار أصبهان " (٢٦٧ / ١) من طريق مسعر بن كدام عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن
 باباه عن أبي هريرة عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : ... فذكره . (السلسلة الصحيحة / ٣٤١٤) .

(١) يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ : أَيُّ يَرْجِعُ وَيَجِيءُ .

الذي يستيقظ من الليل فيقول هذا الذكر

٦٠- عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
" مَنْ تَعَارَّ ^(١) مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، أَوْ
دَعَا اسْتَجِيبَ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ " . (خ / ١١٥٤) .

٦١- عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ حِينَ يَسْتَيْقِظُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ ، ثُمَّ دَعَا رَبَّ اغْفِرْ لِي ، غُفِرَ لَهُ " .

- قَالَ الْوَلِيدُ : أَوْ قَالَ : دَعَا اسْتَجِيبَ لَهُ ، فَإِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى ، قُبِلَتْ صَلَاتُهُ .

قال الشيخ الألباني : (صحيح) صحيح الترغيب وتخريج الكلم ٤٢ : وأخرجه البخاري
(صحيح ابن ماجه / ٣٩٤٧) .

(١) مَنْ تَعَارَّ : بِعَيْنِ مُهْمَلَةٍ وَرَاءَ مُشَدَّدَةٍ أَيْ اِئْتَبَهُ مِنَ النَّوْمِ وَاسْتَيْقَظَ وَلَا يَكُونُ إِلَّا يَنْقُطُ مَعَ كَلَامٍ ، وَقِيلَ هُوَ تَمَطَّى وَأَنَّ (مِنَ الْأَيْنِ) كَذَا فِي النَّهَائِيَّةِ ، وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ
وَقَالَ الْأَكْثَرُ : التَّعَارُّ الْبَقِيَّةُ مَعَ صَوْتٍ ، وَقَالَ ابْنُ النَّيْنِ : طَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ مَعْنَى تَعَارَّ اسْتَيْقَظَ لِأَنَّهُ قَالَ : مَنْ تَعَارَّ فَقَالَ فَعَطَفَ الْقَوْلَ عَلَى التَّعَارُّ اِنْتَهَى . وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْفَاءُ
تَفْسِيرِيَّةٌ لِمَا صَوَّتَ بِهِ الْمُسْتَيْقِظُ لِأَنَّهُ قَدْ يُصَوِّتُ بِغَيْرِ ذِكْرِ فَخَصَّ الْفَضْلُ الْمَذْكُورَ عَنْ صَوْتٍ بِمَا ذَكَرَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى . وَهَذَا هُوَ السَّرُّ فِي إِخْتِيَارِ لَفْظِ تَعَارَّ ذُوْنَ اسْتَيْقَظَ أَوْ اِئْتَبَهُ
، وَإِنَّمَا يَتَّفِقُ ذَلِكَ لِمَنْ تَعَوَّدَ الذِّكْرَ وَاسْتَأْنَسَ بِهِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ حَتَّى صَارَ حَدِيثَ نَفْسِهِ فِي نَوْمِهِ وَيَقْطَعُهُ ، فَأَكْرَمَ مَنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ وَقَبُولِ صَلَاتِهِ .

الذي يحمد الله بعد الأكل

٦٢ - عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :

" مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ ^(١) مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ ^(٢) غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَمَنْ لَيْسَ ثَوْبًا فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ " .

قال الشيخ الألباني : (حسن) ، دون زيادة " و ما تأخر " في الموضعين ابن ماجه (٣٢٨٥) // صحيح سنن ابن ماجه - باختصار السند - برقم (٢٦٥٦) ، المشكاة (٤٣٤٣) / (صحيح أبي داود / ٤٠٢٥) .

(١) وَرَزَقَنِيهِ : أي رزقني هذا الطعام .

(٢) مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي : أي مِنْ غَيْرِ حَرَكَةٍ وَجِلَّةٍ مِنِّي .

الذي يقول هذا الذكر

٦٣ - عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلِّمْنِي خَيْرًا ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ فَقَالَ : " قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ " قَالَ : فَعَقَّدَ الْأَعْرَابِيُّ عَلَى يَدِهِ " وَمَضَى وَتَفَكَّرَ ثُمَّ رَجَعَ ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : تَفَكَّرَ الْبَائِسُ . فَجَاءَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، هَذَا لِلَّهِ ، فَمَا لِي ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " يَا أَعْرَابِي إِذَا قُلْتَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ : صَدَقْتَ ، وَإِذَا قُلْتَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَالَ اللَّهُ : صَدَقْتَ ، وَإِذَا قُلْتَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ اللَّهُ : صَدَقْتَ ، وَإِذَا قُلْتَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، قَالَ اللَّهُ : صَدَقْتَ ، وَإِذَا قُلْتَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، قَالَ اللَّهُ : قَدْ فَعَلْتُ ، وَإِذَا قُلْتَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي ، قَالَ اللَّهُ : قَدْ فَعَلْتُ ، وَإِذَا قُلْتَ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي ، قَالَ اللَّهُ : قَدْ فَعَلْتُ ، قَالَ : فَعَقَّدَ الْأَعْرَابِيُّ عَلَى سَبْعِ فِئِ يَدِهِ ثُمَّ وَلَّى " .

سلسلة الاحاديث الصحيحة للألباني رقم (٣٣٣٦) .

الذي يقول هذا الذكر في آخر مجلسه

- ٦٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
 " مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ ^(١) ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ،
 أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ " .
 قال الشيخ الألباني : (صحيح المشكاة / ٢٤٣٣) (صحيح الترمذي / ٢٧٣٠) .
- ٦٥- عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ :
 " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ إِلَّا قَالَ :
 " سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي وَبِحَمْدِكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ " وَ قَالَ :
 " لَا يَقُولُهُنَّ أَحَدٌ حَيْثُ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ " .
 (ك) . قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٤٨٦٧ في صحيح الجامع .

(١) لَغَطُهُ : يَفْتَحَتَيْنِ ، قال القاري : أَي تَكَلَّمَ بِمَا فِيهِ إِثْمٌ لِقَوْلِهِ غُفِرَ لَهُ . وَقَالَ الطَّبِيُّ : اللَّغَطُ بِالتَّخْرِيكِ الصَّوْتُ وَالْمُرَادُ بِهِ الْهَزُّ مِنَ الْقَوْلِ وَمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ فَكَأَنَّهُ مُجَرَّدُ الصَّوْتِ الْغَرِيِّ عَنِ الْمَعْنَى قَالَ فِي الْقَامُوسِ : اللَّغَطُ الصَّوْتُ وَالْجَلْبَةُ أَوْ أَصْوَاتٌ مَبْهَمَةٌ لَا يَفْهَمُ مَعْنَاهَا - انتهى . والمراد ههنا كلام لا طائل تحته وما لا يعني .

الذي يستغفر الله

٦٦- عن بلال بن يسار بن زيد مولى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي سَمِعَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :

" مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ . غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الرَّحْفِ (١) "

. تحقيق الألباني : صحيح (صحيح أبي داود / ١٥١٧) .

٦٧- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :

" قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي (٢) غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي (٤) يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئًا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً " .

تحقيق الألباني : صحيح ، الصحيحة (١٢٧ - ١٢٨) ، الروض النضير (٤٣٢) ، المشكاة (٤٣٣٦ / التحقيق الثاني) ، التعليق الرغيب (صحيح الترمذي / ٣٥٤٠) .

٦٨- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" لَوْ أَنَّ الْعِبَادَ لَمْ يُذْنِبُوا لَخَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقًا يُذْنِبُونَ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ ثُمَّ يَغْفِرُ لَهُمْ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " .

(ك) . قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٢٤٣ في صحيح الجامع .

٦٩- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُسْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا "

تحقيق الألباني : (صحيح ابن ماجه / ٣٨١٨) صحيح ، المشكاة (٢٣٦) ، التعليق الرغيب (٢ / ٢٦٨) .

(١) فَرًّا مِنَ الرَّحْفِ : فَرَّ : أي هرب ، (من الزحف) : بفتح الزاي وسكون الحاء أي من الجهاد و لقاء العدو في الحرب يعني وإن ارتكب الكبيرة فإن الفرار من الزحف كبيرة أوعده الله تعالى عليه : (وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يُوَعِّدْهُ دُجْرًا أَوْ مُتَحَرِّفًا لِقَالٍ إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ) (الأنفال : ١٦) الآية قَالَ الطَّبِيُّ : الرَّحْفُ الْجَيْشُ الْكَبِيرُ الَّذِي يُرَى لِكَثْرَتِهِ كَأَنَّهُ يَزْحَفُ قَالَ فِي النَّهَائِيَةِ مَنْ زَحَفَ الصَّيِّ إِذَا دَبَّ عَلَى اسْتِهِ قَلِيلًا قَلِيلًا . وقال المَطْهُرُ هُوَ اجْتِمَاعُ الْجَيْشِ فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ أَيْ مِنْ حَرْبِ الْكُفَّارِ حَيْثُ لَا يَجُوزُ الْفِرَارُ بَأْنَ لَا يَزِيدُ الْكُفَّارَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِثْلِي عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا نَوَى التَّحَرُّفِ وَالتَّحْيُزِ ، والزحف : الجيش يزحفون إلى العدو . أي : يمشون ، يقال : زحف إليه زحفاً إذا مشى نحوه . وقد عُذَّ الْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ مِنَ الْكِبَارِ ، فإذا غفر لصاحب الكبيرة بقول هذا الدعاء فلصاحب الصغيرة أولى وأجدر . قال الشوكاني : في الحديث دليل على أن الاستغفار يمحو الذنوب سواء كانت كبائر أو صغائر ، فإن الفرار من الزحف من الكبائر بلا خلاف . وقال أبو نعيم الأصبهاني : هذا يدل على أن بعض الكبائر تغفر ببعض العمل الصالح وضابطه الذنوب التي لا توجب على مرتكبها حكماً في نفس ولا مال . ووجه الدلالة منه إنه مثل بالفرار من الزحف وهو من الكبائر ، فدل على أن ما كان مثله أو دونه يغفر إذا كان مثل الفرار من الزحف فإنه لا يوجب على مرتكبه حكماً في نفس ولا مال كذا في الفتح .

(٢) مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي : أَيُّ مَا دُمْتُ تَدْعُونِي وَتَرْجُونِي يَغْنِي فِي مَدَّةِ دُعَايِكَ وَرَجَائِكَ . أي : أملت مني الخير ، رجوت مغفرتي ولم تياس .

(٣) عَنَانَ السَّمَاءِ : بفتح العين أي سحابها وَقِيلَ : مَا عَلَا مِنْهَا أَيْ ظَهَرَ لَكَ مِنْهَا إِذَا رَفَعْتَ رَأْسَكَ إِلَى السَّمَاءِ . قَالَ الطَّبِيُّ : الْعَنَانُ السَّحَابُ وَإِضَافَتُهَا إِلَى السَّمَاءِ تَصْوِيرٌ لِرَفْعَانِهِ وَأَنَّهُ بَلَغَ مَبْلَغَ السَّمَاءِ .

(٤) الْبَالُ لَعْنَةُ : الْحَالُ الَّتِي تَكْتَرُّ بِهَا ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ : مَا بَالَيْتُ بِكَذَا بَالَةً : أَيُّ مَا اكْتَرَهْتُ بِهِ ، وَالْبَالُ الْقَلْبُ وَقَوْلُ النَّاسِ مَا أَبَالِي بِكَذَا أَيُّ مَا أَشْغَلَ بِهِ بَالِي وَالْبَالُ يُقَالُ بِمَعْنَى الْحَالِ يُقَالُ مَا بَالِكَ أَيُّ مَا حَالُكَ ، أَيُّ مَا أَكْثَرَتْ وَمَا أَلْتَفَتْ .

وَلَا أَبَالِي : أَيُّ وَالْحَالُ أَنِّي لَا أَتَعَظَّمُ مَغْفِرَتَكَ عَلَيَّ وَإِنْ كَانَ ذَنْبًا كَبِيرًا أَوْ كَثِيرًا . قَالَ الطَّبِيُّ : فِي قَوْلِهِ وَلَا أَبَالِي مَعْنَى لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ . ، (ولا أبالي) بذنوبك إذ لا معقب لحكمي ولا مانع لعطائي كأنه من البال فإنه إذا قال أحد : لا أبالي ، كأنه قال لا يشتغل بآلي بهذا الأمر أو نحوه . وقيل : ولا أبالي : لا أكرت بذنوبك ولا أستكثرها وإن كثرت إذ لا يتعاطمني شيء . وقيل : (ولا أبالي) : أي لا أهم بذلك .

(٥) بِقُرَابِ الْأَرْضِ : هُوَ بَصْمُ الْقَافِ عَلَى الْمَشْهُورِ ، وَهُوَ مَا يُقَارِبُ مَالَهَا وَخَكِي كَسْرُ الْقَافِ ، نَقْلُهُ الْقَاضِي وَغَيْرِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وقيل : أي يملأها وهو أشبه أي هو المراد هنا لأن الكلام في سياق المبالغة .

٧٠ - عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرُهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ الِاسْتِغْفَارِ " .
(هب الضياء) عن الزبير .

قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ٥٩٥٥ في صحيح الجامع .
٧١ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ : وَعِزَّتِي يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ ، فَقَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى : " وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي " .
(حم ع ك) . قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ١٦٥٠ في صحيح الجامع .

الذي يستغفر الله في الثلث الأخير أو النصف الأخير من الليل

٧٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" إِذَا مَضَى شَطْرُ ^(١) اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَنْفَجِرَ ^(٢) الصُّبْحُ " . (م / ١٨١٠) .

(١) شَطْرُ اللَّيْلِ : أَيُّ نِصْفُهُ

(٢) يَنْفَجِرُ الصُّبْحُ : يَضِيءُ الْفَجْرُ .

الذي يكون سهلاً في البيع و الشراء و القضاء

٧٣ - عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" غَفَرَ اللَّهُ لِرَجُلٍ كَانَ قَبْلَكُمْ ، كَانَ سَهْلًا ^(١) إِذَا بَاعَ ، سَهْلًا إِذَا اشْتَرَى ، سَهْلًا إِذَا اقْتَضَى ^(٢) " .

قال الشيخ الألباني : صحيح (صحيح الترمذي / ١٣٢٠) .

(١) كان سهلاً : أي لينا في حال كونه بائعا ومشتريا .

(٢) إذا اقتضى : أي إذا طلب ديناً له على غريم يطلبه بالرفق واللطف لا بالخزق والغنف .

الذي يُذنب ذنبًا ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ ، ثُمَّ يُصَلِّي ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ

٧٤- عَنْ أَسْمَاءَ بِنِ الْحَكَمِ الْفَزَارِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيًّا ، يَقُولُ : إِنِّي كُنْتُ رَجُلًا إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَدِيثًا نَفَعَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ ، وَإِذَا حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ ، وَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ ، وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

" مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ ، ثُمَّ يُصَلِّي ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ، أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) (آل عمران / ١٣٥) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

تحقيق الألباني : حسن ، ابن ماجه (١٣٩٥) (صحيح الترمذي / ٤٠٦) .

المسلمان اللذان يلتقيان فيتصافحان

٧٥ - عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ ^(١) إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا " .

تحقيق الألباني :

صحيح ، الصحيحة (٥٢٥) (صحيح أبي داود / ٥٢١٢) ، (صحيح ابن ماجه / ٣٧٠٣) ، (صحيح الترمذي / ٢٧٢٧) .

٧٦ - عَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" إِذَا تَصَافَحَ الْمُسْلِمَانِ لَمْ تَفْرُقْ أَكْفُهُمَا ^(٢) حَتَّى يُغْفَرَ لَهُمَا " .

(طب) . قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٤٣٣ في صحيح الجامع .

(١) فَيَتَصَافَحَانِ : والمُصَافَحَةُ الأخذ باليد والتصافحُ مثله والرجل يُصَافِحُ الرجلَ إذا وضع صُفْحَ كفه في صُفْحَ كفه وصُفْحَا كفيهما وَجْهَاهُما ومنه حديث المُصَافَحَةِ عند اللقاء وهي مُفاعلة من إصَاق صُفْحَ الكف بالكف وإقبال الوجه على الوجه .
(٢) أكفهما : الكفُّ : كفّ اليد وثلاثُ أَكْفَفٍ والجميع : كُفُوفٌ .

الذي يُخلص في رفقه بالحيوان

٧٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
 " غُفِرَ لِمَرْأَةٍ مُومِسَةٍ ^(١) مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ ^(٢) يَلْهَثُ ^(٣) قَالَ : كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ فَتَزَعَتْ خُفَّهَا ^(٤)
 فَأَوْثَقَتْهُ ^(٥) بِخِمَارِهَا ^(٦) فَتَزَعَتْ ^(٧) لَهُ مِنَ الْمَاءِ فَغَفِرَ لَهَا بِذَلِكَ " . (خ / ٣٣٢١) .

(١) مُومِسَةٍ : بضم الميم وسكون الواو وكسر الميم بعدها مهملة وهي الزانية أوهي العاهرة الفاجرة المجاهرة بذلك .

(٢) رَكِيٍّ : بفتح الراي وكسر الكاف وشد النتحية وهي الرَكِيَّةُ بِالْهَاءِ ، وَهِيَ لُغَةٌ حَكَاهَا الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ ، وَقِيلَ إِنَّهَا هِيَ الْهَاءُ فِيهَا قَلِيلٌ ، وَجَمَعَهُ رَكِيٌّ أَوْ كَابَا أَيْ : الْبُئْرُ .

(٣) يَلْهَثُ : بِمِثْلَةِ لَهَثَ بَفَتْحِ الْهَاءِ وَكُسْرُهَا ، يَلْهَثُ بِفَتْحِهَا لَا غَيْرَ ، لَهْثًا بِسُكُونِهَا ، وَالْأَسْمُ اللَّهْثُ بِفَتْحِهَا ، وَاللَّهْثُ بِضَمِّ اللَّامِ ، وَرَجُلٌ لَهْثَانٌ ، وَامْرَأَةٌ لَهْثَى كَعَطَشَانٍ وَعَطَشَى ، وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَ لِسَانَهُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ وَالْحَرِّ وَهُوَ ارْتِفَاعُ النَّفْسِ مِنَ الْإِعْيَاءِ ، وَقَالَ ابْنُ التَّيْنِ : لَهَثَ الْكَلْبُ أَخْرَجَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ قَالَ ابْنُ قُرْقُولٍ : لَهَثَ الْكَلْبُ بَفَتْحِ الْهَاءِ وَكُسْرُهَا إِذَا أَخْرَجَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ أَوْ الْحَرِّ وَاللَّهْثُ بِضَمِّ اللَّامِ الْعَطَشُ وَفِي (الْمُنْتَهَى) هُوَ ارْتِفَاعُ النَّفْسِ يَلْهَثُ لَهْثًا وَلَهْثًا وَلَهَثَ بِالْكَسْرِ يَلْهَثُ لَهْثًا وَلَهْثًا مِثْلَ سَمَاعًا إِذَا عَطَشَ .

(٤) خُفَّهَا : وَالْخُفُّ : الَّذِي يُلبَسُ فِي الرَّجْلِ كَالنَّعْلِ أَوْ الْحِذَاءِ .

(٥) فَأَوْثَقَتْهُ : أَيَّ شَدَّتْهُ .

(٦) بِخِمَارِهَا بِكَسْرِ الْخَاءِ قَالَ فِي الْمَغْرِبِ : الْخِمَارُ مَا تُغَطِّي بِهِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا ، وَقَدْ اخْتَصَرَتْ وَتَخَمَّرَتْ إِذَا لَبَسَتْ الْخِمَارَ .

(٧) فَتَزَعَتْ : أَيَّ اسْتَقَفَّتْ ، يُقَالُ : تَزَعْتُ بِالذَّلْوِ إِذَا اسْتَقَفَّتْ بِهِ مِنْ الْبُئْرِ وَنَحْوِهَا ، وَتَزَعَتْ الدَّلْوُ أَيْضًا .

الذي يُحَسِّن فيما بقي من عمره

٧٨- عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ أَخَذَ بِمَا مَضَى وَبِمَا بَقِيَ " .

قال الشيخ الألباني : (حسن) ، رواه الطبراني بإسناد حسن (صحيح الترغيب والترهيب / ٣١٥٦) .

الذي يُمِيط الأذى عن طريق الناس

- ٧٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ ^(١) فَشَكَرَ اللَّهَ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ " .
(خ / ٦٥٢) ، (م / ٦٨٣٥) .

(١) بتشديد الخاء المعجمة : أي : فأزاله عن الطريق أبعدته ونحاه عن الطريق إذهاباً لضرره .

الذي يخاف الله حقًا

- ٨٠- عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ : قَالَ : عُقْبَةُ لِحَذِيفَةَ أَلَا تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : " إِنَّ رَجُلًا خَضِرَهُ الْمَوْتُ لَمَّا آيَسَ ^(١) مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ إِذَا مِتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطْبًا كَثِيرًا ثُمَّ أَوْرُوا ^(٢) نَارًا حَتَّى إِذَا أَكَلْتُ لَحْمِي وَخَلَصْتُ ^(٣) إِلَى عَظْمِي فَخَذُّوْهَا فَاطْحَنُوهَا فَذَرُّوْنِي ^(٤) فِي الْيَمِّ ^(٥) فِي يَوْمٍ حَارٍّ ^(٦) ، أَوْ رَاحٍ ^(٧) فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ لِمَ فَعَلْتَ قَالَ خَشِيتُكَ فَغَفَرَ لَهُ " . (خ / ٣٤٧٩) .
- ٨١- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : " يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَطِيطَةٍ ^(٨) بِجَبَلٍ يُؤَدِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّيَ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَدِّنُ وَيَقِيمُ الصَّلَاةَ يَخَافُ مِنِّي فَقَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ " .
- تحقيق الألباني : صحيح (صحيح أبي داود / ١٢٠٣) ، (صحيح النسائي / ٦٦٦) .

(١) آيَسَ : قال ابن السكيت : آيسْتُ منه آيسُ إياسًا : أي قنطُ : لَغَةً في يَسْتُ منه آيسُ يَأْسًا . قال الجوهرى : آيسْتُ منه آيسُ يَأْسًا لغة في يَسْتُ منه آيسُ يَأْسًا ومصدرهما واحد وآيسني منه فلانٌ مثل آيسني وكذلك التأيسُ ، قال ابن سيده : آيسْتُ من الشيء مقلوب عن يَسْتُ وليس بلغة فيه ، واليأسُ : القنوط وقد يَس من الشيء من باب فهم .

(٢) أَوْرُوا نَارًا : أورو أمر للجمع بفتح الهمزة من أوري يوري إبراء يقال وري الزند يري إذا خرجت ناره وأوراه غيره إذا استخرج ناره .

(٣) وَخَلَصْتُ إِلَى عَظْمِي : بفتح اللام أي وصلت .

(٤) فَذَرُّوْنِي : بضم الذال وتشديد الراء من ذروت الشيء أذروه ذرؤا إذا فرقته .

(٥) الْيَمِّ : أي في البحر .

(٦) فِي يَوْمٍ حَارٍّ : حار بالراء أي : شديد الحر .

(٧) رَاحٍ : أي : ذي ريح شديدة .

(٨) رَأْسِ شَطِيطَةٍ : الشطية - بفتح الشين الْمُعْجَمَةِ وَكسر الطاء الْمُعْجَمَةِ وَتَشْدِيدِ التَّخَانِيَةِ أَي : قِطْعَةً مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ ، وَقِيلَ هِيَ الصَّخْرَةُ الْعَظِيمَةُ الْخَارِجَةُ مِنَ الْجَبَلِ كَأَنَّهَا أَنْفُ الْجَبَلِ - ، وَالشَّطِيطَةُ الْفَلَقَةُ مِنَ الْعَصَا وَنَحْوَهَا وَجَمْعُهَا شَطَايَا .

الذي يتوب توبة صادقة

٨٢ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
 " كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ فَأَتَى رَاهِبًا ^(١) فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ : هَلْ مِنْ
 تَوْبَةٍ قَالَ : لَا فَقَتَلَهُ فَجَعَلَ يَسْأَلُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا فَأَذْرِكُهُ الْمَوْتَ فَنَاءً ^(٢) بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا
 فَأَخْتَصَمَتْ ^(٣) فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ
 تَبَاعَدِي وَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبُ بِشِيرٍ ^(٤) فَغُفِرَ لَهُ " . (خ / ٣٤٧٠) .

(١) فَأَتَى رَاهِبًا : الراهب واحد رهبان النصارى وهو الخائف والمتعبد قيل فيه إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام لأن الرهبانية إنما ابتدئها أتباعه كما نص عليه في القرآن .

(٢) فَنَاءً بِصَدْرِهِ : أي نهض بجهد ومشقة فمعناه سعى في توجهه إلى القرية الصالحة بكمال جده واجتهاده . وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ بِمَعْنَى نَأَى : أي بَعُدَ . يقال : نَاءَ وَنَأَى بِمَعْنَى .

(٣) فَأَخْتَصَمَتْ : اخْتَصَمُوا : جَادَلُوا ، مثل (تَخَاصَمُوا) ، والاسم مِنْهُمَا الْخُصُومَةُ .

وَالْخُصُومَةُ الْجَدَلُ خَاصِمَهُ خِصَامًا وَمُخَاصِمَةً فَخُصِمَهُ يَخْصِمُهُ خَصْمًا غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ وَالْخُصُومَةُ الْاسْمُ مِنَ التَّخَاصُمِ وَالْإِخْتِصَامِ .

(٤) بِشِيرٍ : الشير ما بين طرفي الخنصر والإبهام بالتفريغ المعتاد .

العبد الذي يعلم حقاً أن له ربّاً يغفر الذنب و يأخذ به

٨٣ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" إِنْ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا ، وَرُبَّمَا قَالَ : أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَذْنَبْتُ وَرُبَّمَا قَالَ أَصَبْتُ فَأَغْفِرْ لِي فَقَالَ رَبُّهُ : أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ ^(١) مَا شَاءَ اللَّهُ ^(٢) ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا ، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ ، أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ فَأَغْفِرْهُ فَقَالَ : أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، وَرُبَّمَا قَالَ أَصَابَ ذَنْبًا قَالَ : رَبِّ أَصَبْتُ ، أَوْ أَذْنَبْتُ آخَرَ فَأَغْفِرْهُ لِي فَقَالَ : أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ " . (خ / ٧٥٠٧) .

(١) المكث : اللبث والانتظار . وقد مكث ومكث بفتح الميم وضمها . والاسم المكث والمكث بضم الميم وكسرها .

(٢) ما شاء الله : أي من الزمان .

الذي يعلم حقاً أن الله ذو قدرة على مغفرة الذنوب ما لم يشرك

٨٤ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : مَنْ عَلِمَ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ غَفَرْتُ لَهُ ، وَلَا أُبَالِي مَا لَمْ يُشْرِكْ
بِي شَيْئًا " .

(طب ك) .

قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ٤٣٣٠ في صحيح الجامع .

الذي يُنظر المُعْسِرَ

٨٥ - عن حُذَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" أَنَّ رَجُلًا مَاتَ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا عَمِلْتَ ؟ فِيمَا ذَكَرَ أَوْ ذُكِّرَ ، قَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَتَجَوَّزُ ^(١) فِي السَّكَّةِ ^(٢) وَالتَّقْدِ ^(٣) ، وَأُنْظِرُ ^(٤) الْمُعْسِرَ ^(٥) ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ " .

تحقيق الألباني : صحيح ، صحيح الترغيب والترهيب (٨٩٤) ، أحاديث البيوع
(صحيح ابن ماجه / ٢٤٢٠) .

(١) أَتَجَوَّزُ : قال النووي التجوز والتجاوز معناهما المسامحة في الاقتضاء والاستيفاء وقبول ما فيه نقص يسير وفي الحديث فَضَّلَ إِنْظَارَ الْمُعْسِرِ ، وَالْوَضْعَ عَنْهُ إِمَّا كُلَّ الدَّيْنِ ، وَإِمَّا بَعْضَهُ مِنْ كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ ، وَفَضَّلَ الْمُسَامَحَةَ فِي الْإِقْتِضَاءِ وَفِي الْإِسْتِيفَاءِ ؛ سَوَاءٌ أَسْتَوْفِيَ مِنْ مُوسِرٍ أَوْ مُعْسِرٍ ، وَفَضَّلَ الْوَضْعَ مِنَ الدَّيْنِ ، وَأَنَّهُ لَا يُخْتَفَرُ شَيْءٌ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ ؛ فَلَعَلَّهُ سَبَبُ السَّعَادَةِ وَالرَّخْمَةِ انْتَهَى . وَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ أَيَّ عَفَا ، وَقَوْلُهُمْ : اللَّهُمَّ تَجَوَّزْ عَنِّي وَتَجَاوَزْ عَنِّي بِمَعْنَى ، وَفِي الْحَدِيثِ " كُنْتُ أَبَايَعِ النَّاسَ وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازَ " أَيَّ : التَّسَاهُلَ وَالتَّسَامُحَ فِي الْبَيْعِ وَالْإِقْتِضَاءِ ، وَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْ ذَنْبِهِ وَتَجَاوَزَ وَتَجَوَّزَ عَنِ السِّرَافِيِّ : لَمْ يُوَاخِذْهُ بِهِ ، وَفِي الْحَدِيثِ " إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أَمْتِي مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا " أَيَّ عَفَا عَنْهُمْ ، مِنْ جَاوَزَ يَجُوزُهُ إِذَا تَعَدَّاهُ وَعَبَّرَ عَلَيْهِ .

(٢) السَّكَّةُ : أصل السكة الحديدية التي تطيح عليها الدراهم ثم قيل للدراهم المضروبة سكة لأنها ضربت بها .

(٣) وَالتَّقْدِ : والنقد ثمن المشتري لأنه ينتقد ويختبر .

(٤) وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ : أَنْظِرْ بِكسر الظاء المعجمة من الإنظار وهو الإمهال والتأخير ، أَي : أَمْهَلْهُ حَتَّى يَتَسَهَّلَ عَلَيْهِ الْأَدَاءُ .

(٥) وَالْمُعْسِرُ : أَيُّ الْفَقِيرِ الْمَدْيُونِ أَيُّ يَتَسَامَحُوا فِي الْإِقْتِضَاءِ وَالْإِسْتِيفَاءِ وَقَبُولِ مَا فِيهِ نَقْصٌ يَسِيرٌ .

الشهيد

٨٦ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ " . (م / ٤٩٩١) .

٨٧ - عَنِ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ ^(١) : يَغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ ^(٢) مِنْ دَمِهِ ، وَيُرَى مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُجَارُ ^(٣) مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ ^(٤) ، وَيَحُلَّى حُلَّةً ^(٥) الْإِيمَانِ ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ ^(٦) ، وَيُشَفَّعُ ^(٧) فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ " . قَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِي : (صحيح) (صحيح ابن ماجه / ٢٧٩٩) .

(الخصال المذكورات سبع إلا أن يجعل الإجارة والأمن من الفزع واحدة)

٨٨ - عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " أَوَّلُ مَا يُهْرَاقُ ^(٨) مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ يُغْفَرُ لَهُ ذَنْبُهُ كُلُّهُ إِلَّا الدَّيْنَ " .

(طب ك) قَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِي : (حسن) انظر حديث رقم : ٢٥٧٨ في صحيح الجامع .

(١) خِصَالٍ : جمع خصلة ، والخصلة : الخلة

(٢) والدَّفْعَةُ بِالْفَتْحِ الْمَرَّةُ وبِالضَّمِّ اسْمٌ لِمَا يُدْفَعُ بِمَرَّةٍ يُقَالُ : دَفَعْتُ مِنَ الْإِنَاءِ دُفْعَةً بَالْتَمَحُّ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ وَجَمْعُهَا دَفْعَاتٌ مِثْلُ : سَجَدَ وَسَجَدَاتٍ وَبَقِيَ فِي الْإِنَاءِ دُفْعَةٌ بِالضَّمِّ أَيْ مِقْدَارٌ يُدْفَعُ ، قَالَ ابْنُ فَارِسٍ : وَالدَّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ وَالْدَّمُ وَغَيْرُهُ مِثْلُ : الدَّفْعَةُ وَالْجَمْعُ دَفْعٌ وَدَفْعَاتٌ مِثْلُ : غُرْفَةٍ وَغُرُفَاتٍ فِي وَجْهِهَا . أَيْ مَعَ أَوَّلِ صَبَةٍ مِنْ دَمِهِ يَعْنِي سَاعَةً يَقْتُلُ .

(٣) وَيُجَارُ مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ : أَيْ يُحْفَظُ وَيُؤَمَّنُ إِذْ الْإِجَارَةُ مُنْذَرَجَةٌ فِي الْمَغْفَرَةِ إِذَا حُمِلَتْ عَلَى ظَاهِرِهَا .

(٤) يَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ : قَالَ الْقَارِي : فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : (لَا يَخْزُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ) (قِيلَ هُوَ عَذَابُ النَّارِ ، وَقِيلَ الْغُرْضُ عَلَيْهَا ، وَقِيلَ هُوَ وَقْتُ يُؤْمَرُ أَهْلُ النَّارِ بِدُخُولِهَا ، وَقِيلَ ذُبِحَ الْمَوْتُ فَيَبِئْسَ الْكُفَّارُ مِنَ الْتَخَلُّصِ مِنَ النَّارِ بِالْمَوْتِ ، وَقِيلَ وَقْتُ إِطْبَاقِ النَّارِ عَلَى الْكُفَّارِ ، وَقِيلَ الشَّفْعَةُ الْأَخِيرَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) انْتَهَى .

(٥) وَيُحَلَّى حُلَّةً : الْأَصْلُ فِي الْحُلَّةِ مِنَ النَّاحِيَةِ اللَّغَوِيَّةِ أَنَّ الْحُلَّةَ بِضَمٍّ خَاءٍ مَهْمَلَةٌ وَتَشْدِيدِ لَامٍ وَلَا تُطْلَقُ غَالِبًا إِلَّا عَلَى ثَوْبَيْنِ وَهِيَ إِزَارٌ وَرَدَاءٌ وَلَا يُسَمَّى حِلَّةً حَتَّى تَكُونَ ثَوْبَيْنِ سَمِيًّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَحِلُّ عَلَى الْآخَرِ ، قَالَ الْجَزَرِيُّ فِي النَّهَائَةِ : الْحُلَّةُ وَاحِدٌ الْخُلَلِ وَهِيَ بُرُودُ الْيَمَنِ وَلَا تُسَمَّى حُلَّةً إِلَّا أَنْ تَكُونَ ثَوْبَيْنِ مِنْ جَنْبِ وَاحِدٍ ، أَوْ هِيَ ثِيَابُ ذَاتِ خُطُوطٍ وَقِيلَ إِنَّمَا تَكُونُ حِلَّةً إِذَا كَانَتْ جَدِيدَةً وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْحِلُّ بَرُودُ الْيَمَنِ .

(٦) مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ : أَيْ نِسَاءِ الْجَنَّةِ ، وَاجْتَنَتْهَا خُورَاءٌ وَهِيَ الشَّدِيدَةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ الشَّدِيدَةِ سَوَادِهَا ، وَالْعَيْنُ جَمْعُ عَيْنَاءٍ وَهِيَ الْوَاسِعَةُ الْعَيْنِ .

(٧) وَيُشَفَّعُ : الشَّفَاعَةُ فِي اللُّغَةِ : اسْمٌ مِنْ شَفَعَ يَشْفَعُ ، إِذَا جَعَلَ الشَّيْءَ اثْنَيْنِ ، وَالشَّفَعُ ضِدُّ الْوَتْرِ ، قَالَ تَعَالَى : (وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ) وَالشَّفَاعَةُ فِي الْأَصْلِ : مَأْخُذَةٌ مِنْ (الشَّفَعِ) ، وَالشَّفَعُ هُوَ : الزَّوْجُ ، لِأَنَّ الشَّافِعَ طَالِبٌ ؛ فَصَارَ مَعَ صَاحِبِ الطَّلَبِ الْأَصْلِي شَفْعًا ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ مِنْ آخَرٍ شَيْئًا ، فَجَاءَهُ لِيَشْفَعَ لَهُ : فَقَدْ صَارَ - بِذَلِكَ - شَفْعًا لَهُ : فَسَمِيَتْ شَفَاعَةً ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الطَّلَبِ أَصْبَحَ شَفْعًا ، بَعْدَ أَنْ كَانَ فَرْدًا ، أَوْ الْإِنْضِمَامُ إِلَى آخَرَ نَاصِرًا لَهُ وَسَائِلًا عَنْهُ وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْإِنْضِمَامِ مَنْ هُوَ أَعْلَى مَرْتَبَةً إِلَى مَنْ هُوَ أَدْنَى وَمِنْ الشَّفَاعَةِ فِي الْقِيَامَةِ . وَقِيلَ : الْوَسِيلَةُ وَالطَّلَبُ ، أَوْ ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ بِهِ يَصِيرُ الشَّيْءُ زَوْجًا بَعْدَ إِذْ كَانَ مُنْفَرِدًا فَكَانَ الشَّافِعُ ضَمُّ سَوَالِهِ إِلَى سَوَالِ الْمَشْفُوعِ لَهُ هَذِهِ الشَّفَاعَةُ . الشَّفَاعَةُ شَرْعًا وَاصْطِلَاحًا قِيلَ : سَوَالُ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ ، وَقِيلَ : هِيَ السُّؤَالُ فِي التَّجَاوُزِ عَنِ الذُّنُوبِ وَالْجَرَائِمِ ، وَقِيلَ : هِيَ مُسَاعَدَةُ ذِي الْحَاجَةِ صَاحِبِ الْحَاجَةِ عِنْدَ مَنْ يَمْلِكُ الْحَاجَةَ ، أَوْ التَّوَسُّطُ لِلْغَيْرِ بِجَلْبِ مَنَفْعَةٍ أَوْ دَفْعِ مُضَرٍّ . مِثَالُ جَلْبِ الْمَنَفْعَةِ : شَفَاعَةُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِدُخُولِهَا .

مِثَالُ دَفْعِ الْمَضَرَّةِ : شَفَاعَةُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا . وَأَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ يَبْتَغُونَ الشَّفَاعَةَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالشَّهَدَاءِ وَصَالِحِي الْمُؤْمِنِينَ ، حَسْبَمَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَدْلَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَسَنَةِ رَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعَ نَفْيِ الشَّفَاعَةِ النَّبِيِّ فِيهَا الْأَدْلَةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ . وَ الشَّفَاعَةُ الْوَارِدَةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ : قِسْمَانِ : شَفَاعَةُ مَنْفِيَّةٍ ، وَشَفَاعَةُ مَشْتَبَةٍ . فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ : هِيَ الَّتِي نَفَاهَا اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَنْ أَهْلِ الْإِشْرَاقِ ، وَ مِنَ الْأَدْلَةِ فِي بَيَانِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ : قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) (الْأَنْعَامُ : ٥١) وَالشَّفَاعَةُ الْوَارِدَةُ هُنَا هِيَ : الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ ، وَقَدْ نَفَاهَا اللَّهُ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ ، بِمَا فِي ذَلِكَ الَّذِينَ يَخَافُونَ وَهُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ ، كَمَا نَفَاهَا عَنْ غَيْرِهِمْ . أَمَّا عَنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فَهِيَ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُمْ إِلَّا بِشُرُوطٍ ، وَهِيَ : إِذْنُ اللَّهِ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ ، وَرِضَاهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَنِ الشَّافِعِ وَعَنِ الْمَشْفُوعِ لَهُ .

(٨) يُهْرَاقُ : يَفْتَحُ الْهَاءُ وَيُسَكَّنُ أَيْ يُصَبُّ يَقَالُ هَرَاقُ الْمَاءِ يَهْرِيقُهُ هَرَاقَةً أَيْ صَبَهُ وَأَصْلُهُ أَرَاقٌ يَرِيقُ إِرَاقَةً وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى أَهْرَقَ الْمَاءَ يَهْرِقُهُ أَهْرَاقًا عَلَى أَفْعَلٍ يَفْعَلُ إِفْعَالًا لُغَةً ثَالِثَةً أَهْرَقَ يَهْرِيقُ إِهْرِاقًا .

الذين يغفرون للناس

٨٩ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" ارْحَمُوا تُرْحَمُوا ، وَاغْفِرُوا يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَوَيْلٌ لِّأَقْفَاعِ الْقَوْلِ ^(١) ، وَوَيْلٌ لِلْمُصْرِرِينَ ^(٢) الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا
فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ " .

(حم خد هب) .

قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٨٩٧ في صحيح الجامع
٩٠ - عَنْ جَرِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" مَنْ لَا يَرْحَمَ لَا يُرْحَمَ ، وَمَنْ لَا يَغْفِرُ لَا يُغْفَرُ لَهُ ، وَمَنْ لَا يَتُبُ لَا يَتَّبِعْ عَلَيْهِ " .

(طب) . قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٦٠٠ في صحيح الجامع .

(١) وَيْلٌ لِّأَقْفَاعِ الْقَوْلِ : وَيْلٌ : أي شدة هلكة لمن لا يعي أوامر الشرع ولم يتأدب بآدابه ، الأقفاع بفتح الهمزة جمع قفص كضلع و قفص بكسر القاف وفتح الميم وتسكن ، وهو الإناء الذي يُترك في رؤوس الطُروف لئلا بالمنايعات من الأشرية والأذهان ، فَشَبَّهَ الْآذَانَ بِهِ يَغْنِي الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ ، وهو مجاز : شَبَّهَ آذَانَهُمْ وَكَثْرَةَ مَا يَدْخُلُهَا مِنَ الْمَوَاعِظِ وَهُمْ مُصِرُّونَ عَلَى تَرْكِ الْعَمَلِ بِهَا بِالْأَقْفَاعِ الَّتِي تُفْرَغُ فِيهَا الْأَشْرِيَّةُ وَلَا يَبْقَى فِيهَا شَيْءٌ مِنْهَا ، فَكَأَنَّهُ يَمُرُّ عَلَيْهَا مَجَازًا ، كَمَا يَمُرُّ الشَّرَابُ فِي الْأَقْفَاعِ اجْتِيَارًا . الَّذِينَ آذَانُهُمْ كَالْقَمْعِ يَدْخُلُ فِيهِ سَمَاعُ الْحَقِّ مِنْ جَانِبٍ وَيَخْرُجُ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ لَا يَسْتَقِرُّ فِيهِ . لَا تَعْنِي شَيْئًا مِمَّا يُفْرَغُ فِيهَا (قال الهروي : وقيل : الأقفاع : الآذان والأسماع) .
(٢) وَوَيْلٌ لِلْمُصْرِرِينَ : على الذنوب أي العازمين على المداومة عليها (الذين يصرون على ما فعلوا) يقيمون عليها فلم يتوبوا ولم يستغفروا (وهم يعلمون) : أي يصرون في حال علمهم بأن ما فعلوه معصية أو يعلمون بأن الإصرار أعظم من الذنب أو يعلمون بأنه يعاقب على الذنب .

الذي لا يهجر المسلمين

- ٩١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَصُومُ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ تَصُومُ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ ؟ فَقَالَ : " إِنَّ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ يَغْفِرُ اللَّهُ فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، إِلَّا مُهْتَجِرَيْنِ ^(١) ، يَقُولُ : دَعُهُمَا ^(٢) حَتَّى يَصْطَلِحَا ^(٣) " .
- تحقيق الألباني : صحيح ، التعليق الرغيب (٢ / ٨٤ - ٨٥) (صحيح ابن ماجه / ١٧٤٠) .

(١) إِلَّا مُهْتَجِرَيْنِ : قال السندي : أي مُتَقَاطِعَيْنِ لِأَمْرِ لَا يَقْتَضِي ذَلِكَ وَإِلَّا فَالْتَقَاطُ لِلدِّينِ وَلِتَأْدِيبِ الْأَهْلِ جَائِزٌ مِنَ الْاهْتِجَارِ .

(٢) يَقُولُ دَعُهُمَا : كَأَنَّهُ خِطَابٌ لِلْمَلِكِ الَّذِي يَغْرُضُ الْأَعْمَالَ فَمَعْنَى دَعُهُمَا أَيِ أَتْرَكَهُمَا أَيِ لَا تَغْرُضْ عَمَلَهُمَا أَوْ لَعَلَّهُ إِذَا غَفَرَ لِأَحَدٍ يَضْرِبُ الْمَلِكُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ أَوْ يَمْحُوها مِنَ الصَّحِيفَةِ بِوُجُودِهِ فَمَعْنَى دَعُهُمَا لَا تَمْسَحْ سَيِّئَاتِهِمَا .

(٣) حَتَّى يَصْطَلِحَا : أي إلى أن يقع الصلح بينهما فحينئذ يغفر لهما .

الذي يَبْذُلُ السَّلَامَ ، وَيُحْسِنُ الْكَلَامَ

٩٢ - عَنْ هَانِيٍّ بْنِ يَزِيدَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذُلِّي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، قَالَ :

" إِنَّ مُوَجِّبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذْلُ السَّلَامِ ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ " .

(طب) قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٢٢٣٢ في صحيح الجامع .

الذي يُكثِرُ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

٩٣ - عَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاحِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ ، قَالَ أَبِي : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ ^(١) فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي ^(٢) ؟ فَقَالَ : مَا شِئْتَ ^(٣) . قَالَ : قُلْتُ : الرَّبْعُ ^(٤) ، قَالَ : مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قُلْتُ : النِّصْفُ ، قَالَ : مَا شِئْتَ ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قَالَ : قُلْتُ : فَالثُّلُثَيْنِ ، قَالَ : مَا شِئْتَ ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قُلْتُ : أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا ^(٥) قَالَ : إِذَا تُكْفَى هَمَّكَ ^(٦) ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ ^(٧) .

تحقيق الألباني : حسن ، الصحيحة (٩٥٤) ، فضل الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقم (١٣ و ١٤) (صحيح الترمذي / ٢٤٥٧) .

(١) إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ : أي الدعاء ، فالمراد بالصلاة هنا الدعاء ، ومن جملته الصلاة على النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وليس المراد الصلوات ذات الأذكار والأركان .
(٢) فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي : أي بدل دعائي الذي أدعو به لنفسي ، قاله القاري . وقال المنذري في الترغيب : معناه : أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك .
(٣) مَا شِئْتَ : أي اجعل مقدار مشيتك .
(٤) الرَّبْعُ : بضم الباء وتسكن ، أي اجعل ربع أوقات دعائي لنفسي مصروفًا للصلاة عليك .
(٥) أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا : أي أصرف بصلاتي عليك جميع الزمن الذي كنت أدعو فيه لنفسي .
(٦) إِذَا تُكْفَى هَمُّكَ : أي ما أهمك من أمر دينك ودنياك ، وذلك لأن الصلاة عليه مشتملة على ذكر الله تعالى وتعظيم الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والاشتغال بأداء حقه عن أداء مقاصد نفسه ، وإيقاره بالدعاء على نفسه . قال الطيبي : وقد تقرر أن العبد إذا صلى مرة على النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صلى الله عز وجل عشرة ، والمراد أنه يجعل له دعاءه يقول : بدل ما أدعو بالمغفرة وأدعو بسؤال الجنة أشتغل بالصلاة على النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، أجعل ذلك هو الدعاء كله . و (همك) مصدر بمعنى المفعول ، وهو منصوب على أنه مفعول ثان لتكفي ، فإنه يتعدى إلى مفعولين ، والمفعول الأول المرفوع بما لم يسم فاعله ، وهو أنت ، والله ما يقصده الإنسان من أمر الدنيا والآخرة ، يعني إذا صرفت جميع أزمان دعائك في الصلاة على كفايت ما يهملك من أمور دنياك وآخرتك ، أي أعطيت مرام الدنيا والآخرة ، فاشتغال الرجل بالصلاة على النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يكفي في قضاء حوائجه ومهماته .
(٧) ذَنْبُكَ : بضم الباء الموحدة . وفي هاتين الخصلتين أي كفاية اللهم ومغفرة الذنب جماع خير الدنيا والآخرة ، فإن من كفاه الله همه سلم من محن الدنيا وعوارضها ، لأن كل محنة لا بد لها من تأثير اللهم وإن كانت يسيرة ، ومن غفر الله ذنبه سلم من محن الآخرة ؛ لأنه لا يوبق العبد فيها إلا بذنوبه .

المتوعدون

بعدم

المغفرة

أولاً : من القرآن

الذي يُشرك بالله

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء / ٤٨) .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (7 / 121) :

يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ الشُّرْكَ بِهِ وَالْكَفْرَ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ الشُّرْكَ لِمَنْ يَشَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ الشُّرْكَ بِهِ الْكَفْرَ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ .

وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَى الْكَلَامِ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ : (أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ بِوُقُوعِ يَغْفِرُ عَلَيْهَا وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ بِفَقْدِ الْخَافِضِ الَّذِي كَانَ يَخْفِضُهَا لَوْ كَانَ ظَاهِرًا ، وَذَلِكَ أَنْ يُوجَّهَ مَعْنَاهُ : إِلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ بِأَنْ يُشْرَكَ بِهِ عَلَى تَأْوِيلِ الْجَزَاءِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ ذَنْبًا مَعَ شُرْكَ أَوْ عَنْ شُرْكَ .

وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ يَتَوَجَّهُ أَنْ تَكُونَ أَنْ فِي مَوْضِعِ خَفَضٍ فِي قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ .

قال ابن كثير في تفسيره (٢ / ٣٢٥) :

ثم أخبر تعالى : أنه (لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) أي : لَا يَغْفِرُ لِعَبْدٍ لَقِيَهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ بِهِ (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ) أي : من الذنوب (لِمَنْ يَشَاءُ) أي : من عباده .

وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة ، فلنذكر منها ما تيسر :

عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ قَالَ : سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ - وَكَانَ قَلِيلَ الْحَدِيثِ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ سَمِعْتُهُ يَخْطُبُ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : " كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلُ يَقْتُلُ الْمُؤْمِنَ مُتَعَمِّدًا أَوْ الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا " .

تحقيق الألباني : صحيح ، الصحيحة (٥١١) ، غاية المرام (٤٤١) (صحيح النسائي / ٣٩٨٤) .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً " . (م / ٧٠٠٩) .

الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) (النَّسَاء / ١٦٨) .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (7 / 599) :

وَأَمَّا قَوْلُهُ : (لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ) فَإِنَّهُ يَعْنِي : لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَسْتُرْ عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ وَذُنُوبَهُمْ بِعَفْوِهِ عَنِ الْعُقُوبَةِ لَهُمْ عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ يَفْضَحُهُمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ . (وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا) يَقُولُ : وَلَمْ يَكُنِ لِيُسَدِّدْهُمْ لِإِصَابَةِ طَرِيقِ الْحَقِّ فَيُوقِفَهُمْ لَهَا ، وَلَكِنَّهُ يَحْدِلُهُمْ عَنْهَا عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى عَظِيمِ جُرْمِهِمْ وَجَرَاءَتِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ . وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْمُرْتَدَّ يُسْتَتَابُ ثَلَاثًا انْتِرَاعًا مِنْهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ ، وَخَالَفَهُمْ عَلَى ذَلِكَ آخَرُونَ . ذَكَرَ مَنْ قَالَ يُسْتَتَابُ ثَلَاثًا :

عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : إِنْ كُنْتُ لِمُسْتَتِيبِ الْمُرْتَدِّ ثَلَاثًا . ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا) .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : يُسْتَتَابُ الْمُرْتَدُّ ثَلَاثًا . وَقَالَ آخَرُونَ : يُسْتَتَابُ كُلَّمَا ارْتَدَّ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ :

عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ ، عَمَّنْ سَمِعَ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : يُسْتَتَابُ الْمُرْتَدُّ كُلَّمَا ارْتَدَّ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَفِي قِيَامِ الْحُجَّةِ بَأَنَّ الْمُرْتَدَّ يُسْتَتَابُ الْمَرَّةَ الْأُولَى ، الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَى أَنَّ حُكْمَ كُلِّ مَرَّةٍ ارْتَدَّ فِيهَا عَنِ الْإِسْلَامِ حُكْمُ الْمَرَّةِ الْأُولَى فِي أَنْ تَوْبَتَهُ مَقْبُولَةٌ ، وَأَنَّ إِسْلَامَهُ حَقَّنَ لَهُ دَمَهُ ؛ لِأَنَّ الْعِلَّةَ الَّتِي حَقَّنَتْ دَمَهُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى إِسْلَامُهُ ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ تُوْجَدَ الْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا كَانَ دَمُهُ مَحْقُوقًا فِي الْحَالَةِ الْأُولَى ثُمَّ يَكُونُ دَمُهُ مُبَاحًا مَعَ وُجُودِهَا ، إِلَّا أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ حُكْمِ الْمَرَّةِ الْأُولَى وَسَائِرِ الْمَرَّاتِ غَيْرِهَا مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ مِنْ أَصْلِ مُحْكَمٍ ، فَيَخْرُجَ حُكْمُ الْقِيَاسِ حِينَئِذٍ .

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / 209) :

أي : من تكرر منه الكفر بعد الإيمان فاهتدى ثم ضل ، وأبصر ثم عمي ، وآمن ثم كفر واستمر على كفره وازداد منه ، فإنه بعيد من التوفيق والهداية لأقوم الطريق ، وبعيد من المغفرة لكونه أتى بأعظم مانع يمنع من حصولها .

فإن كفره يكون عقوبة وطبعًا لا يزول كما قال تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ

وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) ودلت الآية : أنهم إن لم يزدادوا كفرًا بل رجعوا إلى الإيمان ، وتركوا ما هم عليه من الكفران ، فإن الله يغفر لهم ، ولو تكررت منهم الردة .

وإذا كان هذا الحكم في الكفر فغيره من المعاصي التي دونه من باب أولى أن العبد لو تكررت منه ثم عاد إلى التوبة ، عاد الله له بالمغفرة .

ثانيًا : من السنة

الذي يتألى على الله أن لا يغفر لفلان

١- عَنْ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَدَّثَ :
" أَنَّ رَجُلًا قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ
فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ " . (م / ٦٨٤٧) .

٢- قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :
" كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ
يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ أَقْصِرْ . فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ أَقْصِرْ ، فَقَالَ : خَلَّنِي وَرَبِّي ، أَبْعَثْتَ عَلَيَّ
رَقِيبًا ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ . فَقُبِضَ أَرْوَاحُهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ
فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ : أَكُنْتَ بِي عَالِمًا ؟ أَوْ كُنْتَ عَلَيَّ مَا فِي يَدِي قَادِرًا ؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ
بِرَحْمَتِي ، وَقَالَ لِلْآخَرِ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ " . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ
وَأَخْرَجَتْهُ .

تحقيق الألباني : صحيح ، المشكاة (٢٣٤٧ / التحقيق الثاني) ، الطحاوية (٢٩٦) // (٣٦٤) //

(صحيح أبي داود / ٤٩٠١) .

المُشَاحِن

- ٣ - عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
" إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، فَيَغْفِرُ لِكُلِّ خَلْقٍ ، إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ " .
تحقيق الألباني : حسن ، المشكاة (١٣٠٦ - ١٣٠٧) ، الظلال (٥١٠) ، الصحيح
(١١٤٤ و ١٥٦٣) ، الرد على بليق (٩٢) (صحيح ابن ماجه / ١٣٩٠) .

مَنْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ حَتَّى يَصْطَلِحَا

٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :

" تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

أَخِيهِ شَحْنَاءٌ فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا "

(م / ٦٧٠٩) .

الذي لا يغفر

- ٥ - عَنْ جَرِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
" مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ ، وَمَنْ لَا يَغْفِرُ لَا يُغْفَرُ لَهُ ، وَمَنْ لَا يَتُوبُ لَا يُتَبَّ عَلَيْهِ "
- تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٦٠٠ في صحيح الجامع .

الخاتمة (نَسْأَلُ اللَّهَ حُسْنَهَا)

الحمد لله فاتحة كل خير وخاتمة كل نعمة ، أحمده عز وجل وأشكره على توفيقه وعونه ، وعلى جميع نعمه الظاهرة و الباطنة وبعد . فيقول العبد الضعيف أدام الله عليه عافيته ، وختم بالخير عاقبته ، هذا آخر ما يَسِّرُ الله لي من كتابة هذه الرسالة الموسومة (الموعودون بالمغفرة في القرآن و السنة المطهرة) - ومن نعم الله - سبحانه وتعالى - على عبده أن يبدأ عملاً ما ، ثم تحوطه رعاية الله وعنايته حتى يفرغ منه ، وأهم الأعمال في هذه الحياة ما كان خالصاً لله تعالى ، يبتغي به رضى ربه ، وشكر نعمته عليه .

وَهَذَا آخِرُ مَا يَسَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهُوَ شَيْءٌ يَسِيرٌ ، وَلَمْ يَغَرِّ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ أَثْوَابِ الْفَائِدَةِ بِتَغْرِيبِهِ عَنِ الْإِطَالَةِ وَالْإِعَادَةِ ، وَمَعَ اعْتِرَافِي بِالْعَجْزِ ، جَعَلَنِي وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ التَّغَاضِي . إِذْ مَا مِنْ أَحَدٍ غَيْرِ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ يَسْلَمَ . مِنْ صَالِحِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يُؤَفَّقَنَا لِكُلِّ عَمَلٍ جَمِيلٍ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

قال أبو تمام : (فَإِنْ يَكُ ذَنْبٌ عَنْ أَوْ تَكُ هَفْوَةٌ ... عَلَى خَطَأٍ مِنِّي فَعُذْرِي عَلَى عَمْدٍ)
ولو غَشِيَنِي نَوْرُ التَّوْفِيقِ . وَنَظَرْتُ لِنَفْسِي نَظَرَ الشَّفِيقِ . لَسَتَرْتُ عَوَارِي الَّذِي لَمْ يَزَلْ مُسْتَوْرًا . وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مُسْطَوْرًا . وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى مِمَّا أَوْدَعْتُهُ مِنْ أَبَاطِيلِ اللَّغْوِ . وَأَضَالِيلِ اللَّهْوِ . وَأَسْتَرْشِدُهُ إِلَى مَا يَعْصِمُ مِنَ السَّهْوِ . وَيُخْطِي بِالْعَفْوِ . إِنَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ . وَوَلِيُّ الْخَيْرَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . هَذَا وَلَا أَذْعِي أَنِّي أَتَيْتُ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ ، كَمَا أَنِّي لَا أَذْعِي لِعَمَلِي هَذَا الْعَصْمَةَ أَوْ الْكَمَالَ ، فَهَذَا شَأْنُ الرِّسَالِ وَالْأَنْبِيَاءِ ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِالْعِلْمِ فَقَدْ جَهِلَ نَفْسَهُ ، (وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء / ٨٥) .

فالعلم بحر لا شاطئ له وما أصدق الشاعر إذ يقول :

وقل لمن يدعي في العلم فلسفة ... حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

يقول الثعالبي : لا يكتب أحد كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غيرها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا

في ليلة ، فكيف في سنين معدودة ؟

قال معمر : (لو عرض الكتاب مائة مرة ما كاد يسلم من أن يكون فيه سقط . أو قال : خطأ) . وعن المزني

تلميذ الشافعي : (لو عرض كتاب سبعين مرة ، لوجد فيه خطأ ، أبى الله أن يكون كتاب صحيحاً غير كتابه)

ويقول المزني : (قرأت كتاب (الرسالة) على الإمام الشافعي ثمانين مرة ، فما من مرة إلا كان يقف على

خطأ ، فقال الشافعي : هيه - أي حسبك واكف - أبى الله أن يكون كتاب صحيحاً غير كتابه)

ورحم الله ابن العماد الأصبهاني إذ يقول - والصواب أن هذا الكلام للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني

الملقب بأستاذ البلغاء من رسالة له بعث بها إلى العماد الأصفهاني يعتذر إليه من كلام استدركه عليه - :

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه ، إلا قال في غده لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قُدّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر " .

فأرجو مسامحة ناظره فهم أهلوها ، وأؤمل جميلهم فهم أحسن الناس وجوها .

قال الشاعر:

أسير خلف ركاب القوم ذا عرج ... مؤملاً جبر ما لاقيت من عـوج
فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا ... فكم لرب السماء في الناس من فرج
وإن ظللت بقفر الأرض منقطعاً ... فما على أعرج في ذاك من حرج

قال أبو نواس :

مَحْتَكُمُ يا أهل مصر نَصِيحَتِي ... ألا فخذُوا من ناصحٍ بنصيبٍ
ولا تشبوا وثب السّفاه فتركبوا ... على ظهر عاري الظهر غير ركوبي
فإن يك باقي إفك فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكفّ خصيب

اللهم إنا نشهد أنك واحد فرد صمد ، وأن محمداً عبدك ورسولك - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وأن الرسل حق ، وأنهم بلغوا الرسالة ، وأن الموت حق ، والقبر حق ، والميزان حق ، والصراط حق ، والجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور . اللهم توفنا مسلمين تائبين ، لا مغيرين ولا مبدلين آمين يا رب العالمين .

ولقد ختمت بذا الختام بحثي وعلى الإله توكلي وثنائي
إن كان توفيق فمن رب الورى والعجز للشيطان والأهواء
في حينها أدعو الذي بدعائه يمحو الخطا ويزيد في النعماء
سبحانك اللهم ثم بحمدكا أستغفرك وأتوب من أخطائي

هذا وأسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بهذا الجهد ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأستغفر الله العظيم من كل ذنب وخطيئة ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وقد فرغت من جمع هذا الكتاب في يوم الخميس الموافق للتاسع من شهر جماد الأول لعام أربعة وثلاثين وأربعمائة وألف لهجرة الخليل المصطفى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، الموافق للحادي والعشرين من شهر مارس للعام الثالث عشر بعد الألفين للميلاد .

كتبه خَجَّالًا وَجَلًّا / أبو حمزة عماد الدين بن أبو النجا

بورسعيد - جمهورية مصر العربية .

١٤٣٤/٥/٩ هـ ٢٠١٣/٣/٢١ م

- | | |
|---|---------------------|
| ١- القرآن الكريم | |
| ٢- تفسير غريب القرآن | ابن قتيبة |
| ٣- تفسير الطبري | ابن جرير |
| ٤- تفسير ابن كثير | ابن كثير |
| ٥- تفسير الرازي | الرازي |
| ٦- زاد السير | ابن الجوزي |
| ٧- أضواء البيان | الشنقيطي |
| ٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان | السعدي |
| ٩- تفسير محمد بن صالح بن محمد العثيمين | العثيمين |
| ١٠- لمسات بيانية لسور القرآن الكريم | فاضل صالح السامرائي |
| ١١- سلسلة التفسير | مصطفى العدوي |
| ١٢- تفسير الحجرات | فهد السليمان |
| ١٣- صحيح البخاري | |
| ١٤- صحيح مسلم | |
| ١٥- صحيح أبي داود | للشيخ الألباني |
| ١٦- صحيح الترمذي | للشيخ الألباني |
| ١٧- صحيح النسائي | للشيخ الألباني |
| ١٨- صحيح ابن ماجه | للشيخ الألباني |
| ١٩- صحيح الترغيب والترهيب | للشيخ الألباني |
| ٢٠- صحيح الجامع الصغير وزيادته | للشيخ الألباني |
| ٢١- السلسلة الصحيحة | للشيخ الألباني |
| ٢٢- صحيح الأدب المفرد | للشيخ الألباني |

- ٢٣ - فتح الباري ابن حجر
- ٢٤ - فتح الباري ابن رجب
- ٢٥ - عمدة القاري بدر الدين العيني الحنفي
- ٢٦ - شرح صحيح مسلم النووي
- ٢٧ - تحفة الأحوذى المباركفوري
- ٢٨ - عون المعبود شرح سنن أبي داود أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي
- ٢٩ - شرح سنن أبي داود عبد المحسن العباد
- ٣٠ - فيض القدير شرح الجامع الصغير المناوي
- ٣١ - التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري علي بن عبد العزيز بن علي الشبل
- ٣٢ - مدارج السالكين ابن القيم
- ٣٣ - اشتقاق أسماء الله للزجاجي
- ٣٤ - مجموعة التوحيد تأليف جمع من أئمة أهل العلم - نشر
- دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية .
- ٣٥ - الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية عبد العزيز السلطان
- ٣٦ - كتاب الصلاة الحكيم الترمذي
- ٣٧ - لسان العرب ابن منظور
- ٣٨ - كتاب الممدود والمقصود أبو علي القالي

استنصاح

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ " . وذكر منها :
" وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ " .

فأهيب بإخواني أن يبادروا بالاستجابة لأمر رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأن يُقدِّموا لي النصيحة ،
وكذلك استرشادًا بقول رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (الدين النصيحة) فأنا أطلب من إخواني
النصيحة بما يروونه أنفع وأفضل لإخراج هذا العمل في أفضل صورة و هو :
(الموعودون بالمغفرة في القرآن و السنة المطهرة)

وأخيرًا : أسألكم بالله ألا تبخلوا عليَّ بأيِّ نقدٍ بَنَاءٍ أو اقتراحٍ أو توجيهٍ أو نصيحةٍ فالمؤمن مرآة أخيه
والمؤمنون نصيحة والمنافقون غششة .

وجزاكم الله خيرًا .

للتواصل : موقع التواصل الاجتماعي

صفحة /عماد أبو النجا

محمول : ٠١١١١٦٤٣٦٦٦

01116781666

صحيفة الكتاب

- شكر..... ٣
- مقدمة..... ٤
- التمهيد..... ٦
- أسباب المغفرة في القرآن والسنة المطهرة..... ١١
- أولاً : الموعودون بالمغفرة في القرآن..... ٢٣
- الذي يسلم بعد كفره..... ٢٤
- الذي يحقق التوحيد الخالص..... ٢٦
- الذين ءامنوا وعملوا الصالحات..... ٢٩
- الذين يؤمنون بالله ورسوله ويجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم..... ٣٣
- المؤمنون حقاً..... ٣٨
- الذين ءامنوا بالله وءامنوا برسوله واتقوا الله..... ٤٠
- الذين ءامنوا واتقوا الله وقالوا قولاً سديداً..... ٤٣
- الذين يتقون الله..... ٤٤
- الذين صبروا وعملوا الصالحات..... ٤٥
- الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ..... ٤٦
- الأوابين..... ٥٠
- الذين يعبدون الله ويتقونه ويطيعون النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -..... ٥٣
- الذين يتبعون النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -..... ٥٤
- الذين أجابوا داعي الله وآمنوا به..... ٥٦
- الذين يخشون ربهم بالغيب..... ٥٧
- الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم..... ٥٨
- الذي يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله..... ٦٠

- الذين يقرضون الله قرضاً حسناً.....٦٥
- الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....٦٧
- الطيون والطيات.....٧١
- الأسرى الذين في قلوبهم خير.....٧٤
- الإنفاق في سبيل الله والعفو والصفح.....٧٥
- ثانياً : الموعودون بالمغفرة في السنة المطهرة.....٧٦
- الذي يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن.....٧٧
- الذي لا يشرك بالله.....٧٨
- الذي يؤمن بالله وبكتابه.....٧٩
- من لقي الله لا يشرك به شيئاً ، يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان.....٨١
- الذي يحسن الوضوء ويصلي بخشوع.....٨٢
- الذي يؤذّن.....٨٦
- الذي يقول هذا الذكر حين يسمع المؤذّن.....٨٧
- الذي يصلي خمس صلوات في اليوم ويحسن وضوئهن وخشوعهن.....٨٨
- الذي يصلي الصلوات الخمس.....٨٩
- الذي يصلي مع الجماعة.....٩٠
- الذي يبقى في مُصَلَّاه الذي صَلَّى فيه.....٩١
- الذي يحسن الوضوء ثم يصلي الجمعة ويستمع وينصت.....٩٢
- الذي يغتسل يوم الجمعة ثم يأتي الجمعة فيصلّي ما قُدِّر له ثم ينصت حتى يفرغ الإمام من خطبته ثم يصلي معه.....٩٣
- الذي يوافق تأمينه تأمين الملائكة.....٩٤
- الذي يصلي صلاة التسبيح.....٩٥
- الذي يُسَبِّح ويحمد ويُكَبِّر الله في دبر كل صلاة.....٩٦
- المسلم الذي يتليبه الله في جسده أو بمرض.....٩٧
- الذي يعود مريضاً.....٩٨
- الذي يُغَسِّل مسلماً فيكتم عليه.....٩٩

- ١٠٠..... الميت الذي يصلي عليه جمع من المسلمين
- ١٠١..... الزوجان اللذان يموت لهما ثلاثة من الولد
- ١٠٢..... الذي يشهد له جيرانه بالخير بعد موته
- ١٠٣..... الذي يصوم رمضان أو يقومه أو يقوم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا
- ١٠٤..... الذي يصوم يوم عرفة
- ١٠٥..... الذي يصوم يوم عاشوراء
- ١٠٦..... الذي حج فلم يرفث ولم يفسق
- ١٠٧..... الذي يحلق رأسه في الحج
- ١٠٨..... صاحب سورة تبارك
- ١٠٩..... الذين يذكرون الله - تعالى -
- ١١٠..... الذي يسأل الله بهذا الدعاء
- ١١١..... الذين يجتمعون على الذكر
- ١١٢..... الذي يقول سبحان الله وبحمده مائة مرة
- ١١٣..... الذي يذكر الله بهذا الذكر عند النوم
- ١١٤..... الذي يستيقظ من الليل فيقول هذا الذكر
- ١١٥..... الذي يحمد الله بعد الأكل
- ١١٦..... الذي يقول هذا الذكر
- ١١٧..... الذي يقول هذا الذكر في آخر مجلسه
- ١١٨..... الذي يستغفر الله
- ١٢٠..... الذي يستغفر الله في الثلث الأخير أو النصف الأخير من الليل
- ١٢١..... الذي يكون سهلًا في البيع والشراء والقضاء
- ١٢٢..... الذي يذنب ذنبًا ، ثم يقوم فيتطهر ، ثم يصلي ، ثم يستغفر الله
- ١٢٣..... المسلمان اللذان يلتقيان فيتصافحان
- ١٢٤..... الذي يخلص في رفقه بالحيوان
- ١٢٥..... الذي يحسن فيما بقي من عمره
- ١٢٦..... الذي يميّط الأذى عن طريق الناس

- الذي يخاف الله حقًا..... ١٢٧
- الذي يتوب توبة صادقة..... ١٢٨
- العبد الذي يعلم حقًا أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به..... ١٢٩
- الذي يعلم حقًا أن الله ذو قدرة على مغفرة الذنوب ما لم يشرك..... ١٣٠
- الذي يُنظر المُعسر..... ١٣١
- الشهيد..... ١٣٢
- الذين يغفرون للناس..... ١٣٣
- الذي لا يهجر المسلمين..... ١٣٤
- الذي يبذل السلام ، ويحسن الكلام..... ١٣٥
- الذي يكثر الصلاة على النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ١٣٦
- المتوعدون بعدم المغفرة..... ١٣٧
- أولًا : من القراءان / الذي يشرك بالله..... ١٣٨
- الذين كفروا وظلموا..... ١٣٩
- ثانيًا : من السنة / الذي يتألى على الله أن لا يغفر لفلان..... ١٤٠
- المُشاحن..... ١٤١
- من كانت بينه وبين أخيه شحناء حتى يصطلحا..... ١٤٢
- الذي لا يغفر..... ١٤٣
- الخاتمة..... ١٤٤
- صحيفة المصادر..... ١٤٦
- استنصاح..... ١٤٨
- صحيفة الكتاب..... ١٤٩